التربية بقراءة النصوص

١- دعاء القنوت

تقديم

أناهيد بنت عيد السميري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزّوجلّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله-عزَّ وجلَّ-حمدًا طيبًا مباركًا، وهو أهل الثناء والحمد ونشكره أن جعلنا من أهل هذا الكتاب العظيم وهذا النبي الكريم-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

ومن شُكر نعمة أننا من أهل هذه الأمة المجيدة التي قد جعل الله لها كتابٌ عظيم وجعل لها نبيٌ كريم، أن نستغني بكلام الله وكلام رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-في كل نواحي الحياة عن أي أحد، "عن أي أحد" أقصد عن أي فكر وهذا الأمر قد ورد صريحًا في حديث النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ))[١]، وهذه العبارة النبوية لها معنى واضح: "ليس منَّا من لم يستغنِ بالقرآن عن غيره".

والمقصود الاستغناء بالكتاب والسنَّة عن غيرهما في أي مجال إصلاحي للنفس، ودعونا نقسم الحياة إلى قسمين حتى تتضح الصورة، العاملين في الحياة:

(١) رواه البخاري (٧٥٢٧).

- إما يعمرون الأرض.
- إما يعمرون النفس.

فإذا أتينا إلى عمارة الأرض، زراعتها وفلاحتها وصناعتها، فهذا حق لكل مجتهد، أي أحد يجتهد في إعمار الأرض حق له الإعمار، ولا نتنازع في هذا، ليس هذا موضوعنا، إعمار الأرض يتوارثه الناس، ولا يستطيع أحد أن يحدّ هذا التوارث.

كما هو معلوم أن الناس كانوا قبل أن يخترعوا الصفر يعدُّون بطريقة صعبة جدًا، أتى العرب واخترعوا الصفر-لما كانوا متقدمين-فكانوا يعبّرون بالأرقام بطريقة سهلة.

لما تراجع العرب عن إعمار الأرض وصار ليس لهم في هذا الشأن، ما قالوا للناس: هاتوا صفرنا!

لم يعد صفرهم وأصبح علمًا متداولًا؛ إذًا كل ما يتصل بإعمار الأرض هذا حق لكل مُجِدّ لا يوجد نزاع في ذلك.

لكن هذا ليس موضوعنا تمامًا اتركوه.

نحن موضوعنا المهم **إعمار النفس** التي خُلقت من أجلها الأرض، هذه الأرض وكل شيء فيها خُلق لهذه النفس.

فعندما نتكلم عن **الإعمار الحقيقي** يجب أن نتكلم عن **إعمار النّفس**؛ لأن الله خلق السماوات والأرض وخلق كل ما يدُبّ على الأرض من أجل هذا الإنسان، وهذا الإنسان له وظيفة كل شيء يدفعه إليها، طوال الوقت وهو فقيرٌ محتاج، طوال الوقت وهو له أعمال، فكل الذي حوله يدفعه الى الرب العظيم، إلى أن يقف بين يديه فلا شيء في الدنيا يجعله يستغني عن ربه، بل بالعكس هو يستغني بربه عن كل شيء، ويستغني بكلام ربه عن كل شيء.

إذًا، خرجنا بنتيجة مهمة ما هي النتيجة؟

أن تعلم أن حقيقة ما هو مطلوب منك في هذه الحياة أن تعيش تستفيد من كل شيء حتى تعمّر نفسك، وتعمّر قلبك الذي ينظر إليه الله، هذا قلبك الشريف، هذا المكان الشريف لا تتركه في كل وادٍ يهيم، إنما ضعه على الصراط المستقيم.

إذًا ما هو المطلوب الآن من هذا الكلام؟!

المطلوب منك عندما تريد إعمار هذا القلب، إعمار هذه النفس، أن تستغني عن كل منهج، لا تسمع كلام الناس، الناس يجربون عليك، أنت وأولادك عندهم: "فأر تجربة"!! كل يوم يأتونك بنظرية ويقولون لك: إذا

كنت تريد أن تُطوِّر نفسك وتحسِّن وضعك؛ افعل كذا وكذا...وبعد قليل يقولون: "هذه التجربة فشلت، لكن هناك البديل"!

فلا تسلم قيادتك أبدًا في إعمار قلبك لآرائهم، لا شرقهم ولا غربهم، لا المعتدل منهم ولا المتشدد، اتركهم كلهم!

لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، **يستغني به عن غيره من الأفكار، يستغني به عن غيره من الأطروحات والفلسفات**؛ فمن أجل أن نكون من أمة النبي الكريم-صلَّى الله عليه وسلَّم-فلنستغنِ بما جاء به.

وهذا لا بد أن يكون مدخلنا في كل مرة نناقش فيها موضوع التربية بالنصوص: **"كيف سأربي أبنائي بهذا النص"؟**

وأول كلام سنقوله: استغنِ بالقرآن والسنَّة عن غيرهما، لا تسمع لنظريات، وكل المطروح في النظريات التربوية-في الحقيقة-إنما هو آليات، أي: فنّيات، افعل كذا، لا تفعل كذا، لكن المحتوى دائما فراغ!

المحتوى دائمًا ينفع الدنيا وأهلها!

المحتوى دائمًا يخرج إنسانًا في النهاية تائهًا! تتخبطه الشياطين في الأرض حيران، مهما ظهر عليه من كونه يُجيد لغات ويتكلم بالفلسفة، وفصيحًا...لا يغرّك!

فإن كثير من الأشياء التي حولنا لها مظهر ما أن تختبرها حتى ترى حقيقتها مُرّة جدًا، وهذا الكلام ليس تحيُّزًا لشيء ولا لفكرة، لكن دعونا نُفكر بتجرد، كيف آخذ كلام الناس وأجعله منهجًا للتربية وأترك كلام رب الناس؟!!

ورب الناس علمنا كيف نربي، لكن المشكلة أن كلام الله العظيم وكلام رسوله-صلَّى الله عليه وسلَّم-بين أيدينا، لكننا لا نعرف كيف نربي من خلاله؛ لأن هذا الخير العظيم الذي بين أيدينا عزيز، لا يُعطى لأي أحد، لا يُعطى لكسلان لا اجتهد ولا سأل ولا بذل ولا انكسر بين يدي ربه، فلن تُفتح له أبواب النصوص، ولن يقال له: "من هنا استنتج كذا ومن هنا استنتج كذا"!

وهذه المسألة-**مسألة الكسل**-التي تجعل الناس يُشرِّقون ويُغرِّبون، لأنهم يحتاجون مَن يقول لهم: "افعلوا كذا ثم كذا"!

والصواب: أن تأتي إلى هذا الكنز العظيم، وتجعله قِبلة فؤادك وتقرؤه وتفهمه بتفاصيله، وستجد نفسك في كل مرة تخرج منك جوهرة لهذا الابن تُعطيه إياها، وفي هذا الموقف تخرج من لسانك جوهرةٌ أخرى ومن هنا جوهرةٌ أخرى؛ لأنك امتلأت بالكنز فحينما تأتي المواقف يُطلق الله على

لسانك ما يُصلح وجدانه، لكن تكون أنت ضعيفًا في علاقتك بالقرآن، ثم تقول: "لا توجد سورة تُعلمني كيف أُكلِّمُه وكيف أُعلِّمُه"!!

انتبه هذا كتابٌ عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل، (تنزيل) ولذلك عندما تَستفتحين سورة غافر تَسمعين: {حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[1].

فعندما ينْزِل الكتاب من العزيز العليم سُيربي أبناءنا من مهدهم إلى أن يصبحوا رجالًا ينفعون المسلمين، وهل سمع الصحابة الكرام كبارهم وصغارهم غير القرآن وسنَّة النبي الكريم؟! لم يسمعوا غيرهما فكانوا خير الأجيال. لكن هذا الكلام لا نقوله كمعلومة تاريخية، بل يجب أن ينزل القرآن والسنَّة على قلب قبلتُهُ القرآن وكل جهده فيه، والسنَّة كذلك وينتزع منها ما يستطيع به أن يصل إلى استقامة في نفسه وفي أبنائه، لا بأس ممكن أن يقوم بهذا الدور جماعة وجماعة تسمع، ثم الجماعة التي تسمع تبدأ تفهم وتتعامل لا بأس، وهذا يقود وهذا يتبع ثم هذا يبدأ يقود لا بأس، لكن البداية أن أقول: **"سأُعرِض عن الشرق والغرب ولن أُلوث فكري بأفكارهم، وسأكتفي بما نزلته في الكتاب".**

---

(١) [سورة غافر: ١-٢]

يجب أن نكتفي، يجب أن نعبد الله بالاكتفاء، يجب أن نشعر أنّا في غنى عن الناس وأفكارهم، الناس يعطونا حثالة أفكارهم.

ويجعلون أولادنا في النهاية يُعظِّمون الدنيا ويحبُّونها، مثلًا توجد كلمة متداولة في الفترة الأخيرة، يقولون: "يجب أن نعلم أبناءنا حتى يخرجوا إلى سوق العمل"!

فأصبح التعليم فقط لأجل العمل، حتى التعليم لم يصبح بنفسه قيمة!

التعليم ما أصبح بنفسه شيئًا لسمو الإنسان، إنما دار في الأذهان أنه لمجرد أن أخرج واحد عامل، يموت بمجرد موته!

في مقابل أن مَن يتعلم الكتاب والسنَّة ويملآن قلبه تبقى أعماله حية وراءه، انظري كيف يفنون أعمار الناس، يخرجون عُمّالًا حتى إذا أتى سن التقاعد يكونون قد انتهَوا، عمّالًا يشتغلون من الأحد إلى الخميس، والجمعة والسبت تجدهم موتى قد انتهَوا ناس غير موجودين في الحياة! وهكذا تتغير خريطة الحياة.

والذي يشهد على ذلك أنه حتى الناس المستقيمين يبذلون جهودهم-مثلا- في إيقاظ أبنائهم للفجر

من الأحد إلى الخميس، نأتي يوم الجمعة والسبت نجد الناس ماذا حصل لهم؟!

أغلبهم ينام عن صلاة الفجر، لماذا؟! هذا عبدٌ لله، في كل الأحوال هو عبدٌ لله، أنت لا تُخرِجِ عاملًا يعمل للدنيا ثم يفنى فيها؛ فمن أجل ذلك يجب أن نعيد حساباتنا كلها تجاه هؤلاء الأبناء، وهنا أُطمئن نفسي وأُطمئنكم أنه ما سَيَطعمه أبناءنا، وما سيحصلون عليه من وظائف، وما سيكون في أرصدتهم من أموال قد كُتب وفُرِغ منه قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف عام، انتهى هذا الأمر.

بقي الاختبار: وأنت تسعى في طلب رزقك، ماذا فعلت؟ هل أرضيت الله أو لم ترضه؟!!

أي أن رزقك محبوس في تلك الزاوية، لا أحد يستطيع أن يناله، كل الاختبار: **"من هنا إلى أن تصل إلى رزقك ماذا فعلت"؟!**

قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}، لماذا تسمع هذا الكلام؟ {لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}(١).

(١) [سورة الحديد: ٢٢-٢٣]

إنما تمشون على الصراط المستقيم.

وأنتم أيضًا جربوا، تحدث مواقف كثيرة عجيبة، مثل المواقف المتكررة في الحرم، مثلًا هذا يوم الجمعة الناس كلهم يمرون على مكان خالٍ بجانبك ولا يرونه فيبقى محبوسًا لواحدة تأتي من آخر الدنيا تجلس فيه، حُبس لها طوال الوقت والناس لم يروه، لماذا؟ هذه رسالة أنه لا أحد سينزع منك رزقك.

على كل حال، هذا النص مليء بالمفاهيم، ويحتاج منّا أن نركِّز فيه.

نختصر ما ذكرنا:

- التربية تكون بنصوص الكتاب والسنَّة ولا يصلح أن نخلطها بكلام الشرق والغرب.
- يجب أن أعتمد على كلام الله وكلام رسوله وأترك ما سواهما.
- مشكلتنا الكسل في استخراج النصوص والنظر إليها.

لكن أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يكشف عنا هذه الغُمّة العظيمة وينفعنا بالكتاب والسنَّة ويجعلنا من أهلها وكلنا طمأنينة أننا إذا بذلنا ووضعنا بذور الحق في قلوب أبنائنا سيخرجها الله، فالله هو فالق الحب والنوى، والله هو مُخرج الثمرات، فكما يفلق الحبة الصغيرة في التربة كذلك يفلق

الحق في نفوس الأبناء، وكما يُخرج هذه الشجرة فتشق ثمراتها وتخرج، كذلك يشق الحق عن قلوبهم وتخرج الثمرات والتصرفات السليمة، وهو-سبحانه وتعالى-على كل شيء قدير، نحن على ثقة ويقين منه-سبحانه وتعالى-.

على كل حال، سنرى كيف تكون الطريقة التي نناقش فيها مثل هذا الموضوع:

- في البداية النص سيكون أمامنا.
- ونحدد ماذا سنُعلم الصغير من هذا النصّ.
- ثم نأخذ كل جزء من هذا النصّ ونبنيه كمفهوم، أي نفهمه ونقول "ما هي التفاصيل المهمة التي ينبغي أن تبقى معنا في الحياة".

سنبدأ هذا الاسبوع بهذا الحديث العظيم الذي عرُف بـ "دعاء القنوت"

والقنوت كما هو معلوم في صلاة الوتر، يهمنا في البداية ونحن نقرأ الحديث أن نعرف أن هذا الحديث ورد في سنن أبو داوود والترمذي والنسائي برواية الحسن بن علي بن أبي طالب، أي ما ورد لنا هذا الحديث إلا من هذا الصغير!

سبط رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-ومعلوم أنه كان صغيرًا؛ لأن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-توفي عنهم وهم صغار، فيقول-رضي الله عنه-: ((علّمني رسولُ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-كلماتٍ أقولُهنَّ في الوترِ))[١].

من هنا تبدأ المناقشة، عندك كلمتين هامتين جدًا:

١) "علَّمني" : معناها أن هذا الصغير الذي لم يناهز الحُلُم يُعلَّم كلماتٍ يحفظها.

٢) " في الوترِ" : معناها أن هذا الصغير يؤمر بأن يصلي الوتر، يؤمر بالنوافل، وهذا دليل على أن الصغير أهل لأن يُدرَّب على النوافل كما أنه أهل لأن يُدرَّب على الفرائض.

وهنا نشير على أن الناس ينقسمون إلى أصناف في القراءة:

- ✔ فمن الناس من يقرأ قراءة سريعة.
- ✔ ومن الناس من يقرأ قراءة موجَّهة.
- ✔ ومن الناس من يقرأ قراءة القفز.

(١) "علَّمَني رسولُ اللَّهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-كلماتٍ أقولُهُنَّ في الوترِ : اللَّهمَّ اهدِني فيمَن هديتَ، وعافني فيمن عافيتَ، وتولَّني فيمن تولَّيتَ، وبارِكْ لي فيما أعطيتَ، وقني شرَّ ما قضيتَ، فإنَّكَ تَقضي ولا يُقضَى عليكَ، وإنَّهُ لا يذلُّ من واليتَ، تبارَكْتَ ربَّنا وتعاليتَ"، رواه النووي (كتاب الأذكار / الصفحة أو الرقم: ٨٦ /خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح)

"قراءة القفز" : مثلا تقرئين هذا الحديث ويقال لك: " عن الحسن-رضي الله عنه-قال: علمني..." كل هذا أتجاوزه وأدخل إلى نص الدعاء مباشرة!

أو مثلًا أجد نشرة فيها آيات لكتاب الله-عزَّ وجلَّ-وفيها كلام لأهل العلم يعلق عليها، فأتجاوز الآيات وأقرأ التعليق!

فقراءة القفز لا يمكن أن تأتي بنتيجة، يجب أن نقرأ بطريقة صحيحة، أليس هذا الحديث مشهورًا عند الناس في صلاة الوتر في دعاء القنوت؟!! بلى، ومن السنَّة أن يدعوا الأئمة بهذا الدعاء، ومع ذلك لم يلفت نظرنا أن صغيرًا قد رواه، يجب أن يلفت نظرنا أن صغيرًا قد رواه وهو سبْط رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهذا السبْط كان صغيرًا لكن كان موضع اهتمام النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-فعلَّمه الرسول ما يقول في الوتر.

إذًا خرجنا بنتيجة أن مثل هؤلاء الصغار سنُكلمهم عن النوافل، عن صلاة السنن وأهمها أن يتدرّبوا على أمرين: على سنّة الفجر وعلى صلاة الوتر، هاتان أهم نافلتان تجاوزا الأمر بصلاة الفريضة.

تقولي: "هم الآن كسلانون عن كل شيء"، لا بأس، لا تفكِّري في حاله الآن، لكن اعلمي أن الذي تعلمينه إياه اليوم يُكتب في قلوبهم والذي تكتبينه في قلوبهم لن يقرؤه إلا في الوقت الذي سيأذن الله به وقتما يستطيعون قراءة

الحياة، فلا تتعجلوا وتظنوا أنه سيبقى على هذه الصورة التي ترونها الآن. لكن "متى سيأذن الله؟" هذا ليس شأني! أنا شأني أن أكتب ما تيسر لي في صفحة قلبه البيضاء. "متى سيقرؤها؟" هذا أمر الله، ونموت ونجد الأجور ونموت ويبقى العمل إلى أن تقوم الساعة.

فقصتنا دائمًا مع الأبناء: **لا تتعجل**، قل له كلَّما يأتي ليُصلّي الفجر: "صلِّ السنَّة أولًا"، سواء الصغير الذي عندك في البيت أو الكبير الذي يخرج إلى المسجد.

وكرِّري:

- "صلِّ السنة أولًا".
- "لا تنام إلا عندما تصلِّ الوتر".
- "صلِّ الوتر".
- اليوم تقولين: "صلِّ أمامي الوتر".
- غدًا تقولين لها: "ها صلّيتِ الوتر؟"

مرة كذا ومرة كذا إلى أن يفتح الله قلوبهم، مهما كنت تظنين أنه لا يستجيب اتركيه، قولي ما عندك فقط،

لأننا لم نؤمر بأن نشقّ عن قلوبهم وندخل، بل نحن مُخْتَبَرين بأن نقول ما يُرضي الله، ثم ثمرة ما نقول يُخرجها الله، لنكون متفقين حتى لا نقول: "فليُصلّوا الفرض أولًا حتى يصلّوا الوتر"! لا، لا تقولي هذا، مثلما تعلِّمينهم الفرض علميهم الوتر، مثلما تعلِّمينهم الفرض علِّميهم سنّة الفجر، وما عليك إلا أن تقولي: "والله يلقي في قلوبهم الخير والبركة".

يجب علينا أيضًا ونحن نقرأ معه الحديث **أن نشير إلى مكانة آل البيت وحقوق آل البيت والصحابة**، وهذه مسألة مهمة جدًا، أود منكم أن تنتبهوا لها بسبب أننا دائمًا نتطرَّف في تصرفاتنا ونحن لا نشعر، ماذا يعني؟ يعني أهل السنَّة والجماعة-كما تعلمون-عقيدتهم في صحابة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وفي آل البيت وفي أزواج النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-هي العقيدة الحق، فهم يترّضون عن الجميع ويرون الجميع لهم حقوق تختلف عن بعضها لكن الجميع لهم حقوق،

-وآل البيت لهم حقوق خاصة.

-وأصحاب النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لهم حقوق خاصة.

-وزوجات النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-لهم حقوق خاصة.

عندما أتت الجماعة الذين تطرفوا في المسألة وأخذوا آل البيت لهم حجة، وصاروا يتكلمون عنهم ويقعون في الغلو فيهم، ماذا فعل أهل السنَّة-عامتهم طبعًا، علماؤهم معروف موقفهم-؟

تركوا الكلام عن آل البيت، وصار الكلام عن آل البيت لهؤلاء المخالفين! لمن وقع في الغلو وصار أهل السنَّة والجماعة لا يتكلمون عن عقيدتهم في آل البيت! فهذا لا يجوز بل يجب أن يُتكلّم عن الثلاثة المحيطين بالنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-:

أولًا: يجب أن نتكلّم عن زوجاته، وهن أمهات المؤمنين.

لذلك يجب أن لا يقول الولد أو البنت لي: "خديجة وعائشة"! هؤلاء أمهات المؤمنين فلا بد أن يقع في قلوب الأبناء التوقير لهؤلاء الكرام.

ثانيًا: يجب أن نتكلم عن أصحاب النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

ثالثًا: يجب أن نتكلم عن آل بيت النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

ونرى أن محبتهم وإكرامهم وإجلالهم من القربة إلى الله فهو دليل حب الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-، والذي يسمع عن أبو بكر-رضي الله عنه- وهو يقول: ((والَّذي نفسي بيدِهِ لقَرابةُ رسولِ اللَّهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-

أحبُّ إليَّ أن أصِلَ مِن قَرابَتي))[١]، يعرف كيف كان موقف الصحابة من آل البيت، ويعرف هذا الكم الهائل من الكذب عند أهل الغلو على أهل السنَّة لكن الصغير يكبُر وهو لا يعرف ما هو موقفه؟ لماذا؟ لأن الكبير الذي يربيه لا يعرف ما هو موقفه من آل البيت وما هي عقيدته فيهم! هذه عقيدة ستُسأل عنها، ستُسأل عن الصحابة الكرام وآل البيت وأمهات المؤمنين؛ لأن كل ما هو موجود في القرآن من عقائد وأعمال سنحاسب عليها، ومن عقائدنا التي سنحاسب عليها ووردت في القرآن عقيدتنا في هؤلاء الكرام.

- إذًا عندما أقرأ مع الطفل: "عن الحسن بن علي-رضي الله عنهما-" سأعرفه مَن هو الحسن، مَن هو عليّ-رضي الله عنه-، ليس تعريفًا فقط بالشخصية بقدر ما هو أيضًا تعريف بآل البيت.
- سننبه أيضًا إلى شيء مهم، وهو **أن الصلاة عظيمة وخصوصًا صلاة الوتر**، ثم نأتي نناقش الوتر بكلمتين ليس لكونه صلاة فقط، إنما سنناقشه كصفة لله؛ لأن في الأصل أنت عندما تكلمينه عن الوتر ستقولين: ((إِنَّ اللهَ وِتْرٌيُحِبُّ الْوَتْرَ))[٢] -سبحانه وتعالى-.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٧١٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٢٢٤)، وصححه أحمد شاكر.

فيجب أن نناقش الوتر بكلمات دقيقة، ما المقصود بالوتر في حق الله؟ (الوتر) ضده الشفع، والشفع أشياء تنضم مع بعضها، فعندما تنظرين مثلًا لمطلع سورة الفجر، الله أقسم بأمور منها: {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}[١].

من بين أقوال أهل العلم في معنى القسم بالشفع والوتر في سورة الفجر: "الله جعل الدنيا كلها شفع- (الليل والنهار) ، (الشمس والقمر) ، (الذكر والأنثى) -، وانفرد هو-سبحانه وتعالى-بأن يكون وترًا، فله-سبحانه وتعالى- التوحيد". فهذا من معاني الوتر.

- فسنقول له: **"الله وتر، أي أن الله واحد لا مثيل له، لا شبيه له".**

وهذا يفيدنا جدًا عندما يكبر ويسأل: "مَن الله؟ ما هي صفات الله؟" يسأل أسئلة يشّبه بها الله تعالى بخلقه.

- فنحن نقول له: **الله** {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}[٢] .

لكن هذا عندما يكبر قليلًا ويصل إلى الصف الرابع أو الخامس؛ لأن هذا مناسب من سن تسع سنوات أن نناقشه، سنبدأ هنا نضيف أنه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء} نضيف عليها أن الله وتر بمعنى أنه **منفرد بالصفات**.

---

(١) [سورة الفجر: ٣]

(٢) [سورة الشورى: ١١]

وصلاة الوتر واحدة بعدما كانت شفعًا-كل الصلوات ركعتين ركعتين إلى أن يأتي الوتر يوتر ما صلى الإنسان-؛ ولذلك عائشة-رضي الله عنها-قالت: ((والمغرب وِتر النهار))[(١)]، يعني صلاة المغرب على خلاف بقية الصلوات، ماذا تُعتبر؟

تُعتبر وتر على خلاف بقية الصلوات شفع.

إذًا عند الوتر سأستفيد في الكلام عن وصف الله.

سيأتيني أيضًا أمر مهم يجب أن نلتفت له: أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-علّم الحسن وهو صغير الدعاء، حفّظَّه إياه هذا سينقلني إلى شيءٌ مهم اليوم افتعلوا معركة وهي لا معركة، لكن لأجل أن ينقلونا-كل حين-لساحات معارك، يأتون فيقنعون الصغار أن الأذكياء هم الذين يفهمون والأغبياء هم الذين يحفظون وهذه كذبة كبيرة!!

لأن أصلًا لا يوجد أحد يفهم شيء إلا بعدما يُدرك لفظه ويحفظه، وانظر لأذكى واحد لا يحفظ جدول الضرب، ماذا يفعل في مسائل القسمة؟ تجده لا يفهم شيئًا!

---

(١) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «فُرِضَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم–رَكْعَتَانِ رَكْعَتَانِ، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ لِطُولِ الْقِرَاءَةِ، وَصَلَاةُ الْمَغْرِبِ لِأَنَّهَا وِتْرُ النَّهَارِ» رواه ابن حبان في صحيحه (٢٧٣٨)

ثم القواعد كلها التي يتكلمون عنها في الرياضيات وغيرها هي محفوظات ومن ثم يُطبقون عليها.

المهم هذه كذبة، وهذه الكذبة يُصدقها بعض الناس ليريحوا عقولهم، وأحيانًا تُخترع لأسباب أخرى، مثل تمجيد الأقسام العلمية على الأدبية، يمجّدُونها وفي النهاية يخرج أولادنا لا أدركوا هذا ولا ذاك.

الشاهد أن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-حفّظ الحسن وهذا التحفيظ يدل على أن الصغير سنبتدئ معه بأن يحفظ الحقائق، ثم كلما زاد عمره كلما أصبح مفهوم هذا المحفوظ أكبر، يعني أنت حتى تبني مفاهيمًا في قلب الإنسان يجب أول شيء أن تبدئي بكلمة محفوظة وهذه الكلمة المحفوظة كل مرة تجذبين لها المعاني المناسبة، كأنه يضعها قاعدة ويأتي بالكلام المناسب وراءها فإذا لم تكن هناك كلمات محفوظة سيتوه!

وجرِّبوا هذا عندما تفهمون آية من كتاب الله ولا تحفظونها، لاحظي كيف يضيع المعنى إذا لم تكوني حافظة للآية التي وراءها المعنى.

إذًا هذا دليل على أننا مطلوب منَّا في مرحلة الطفولة وبداية الشباب أن نحفّظه ونبني المفاهيم وراء المحفوظ، وهذا لا يعني أن يحفظوا ولا يفهموا! لا أبدًا لكنه يجب أن يُحفّظ.

والذي لا يستغل مدة الطفولة والشباب للحفظ سيدفع الثمن غاليًا، سيجد نفسه قد كبر وصار صعب عليه أن يحفظ بعد ذلك.

على كل حال، النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-علّمه هذه الكلمات وحفّظه إياها وأبقاها ولتعلموا أنها ما وصلت للأمة إلا عن طريقه، فكانت النتيجة أن هذا الحفظ أورثه هذا الميراث، ولو ما حفظوا العلماء العلم ثم كتبوه ما كان وصل لنا هذا التراث العظيم، هذا كلّه مقدمة في أول سطرين.

سنأتي الآن إلى تقسيم الحديث ونرى كيف أن هذا الحديث[١] يشمل طلب من الله مبني على عقائد يعتقدها الإنسان، أي ستكون هناك متطلبات، وهذه المتطلبات وراءها عقائد يعتقدها الإنسان.

الآن نقرأ جمل الحديث:

"اللهمَّ اهدِنا فيمَن هدَيت"، وهذا فيه طلب الهداية.

"وعافِنا فيمَن عافيت"، وهذا فيه طلب العافية.

"وتولَّنا فيمَن تولَّيت"، هذا فيه طلب الولاية.

"وبارِكْ لنا فيما أعطيت"، هذا فيه طلب البركة.

---

(١) "اللهمَّ اهدِنا فيمَن هدَيت، وعافِنا فيمَن عافيت وتولَّنا فيمَن تولَّيت، وبارِكْ لنا فيما أعطيت، وقِنا شرَّ ما قضيت، إنك تَقضي ولا يُقضى عليكَ، إنه لا يَذِلُّ مَن والَيت، ولا يَعزُّ مَن عاديت، تباركت ربَّنا وتعالَيت" صححه الألباني.

"وقِنا شرَّما قضيت"، **هذا فيه طلب الوقاية من الشر.**

ثم يأتي الاعتقاد انظروا ماذا نعتقد؟

" إنك تَقضي ولا يُقضى عليكَ، إنه لا يَذِلُّ مَن والَيت، ولا يَعزُّ مَن عاديت، تباركت ربَّنا وتعالَيت".

إذًا في بداية الأمر، يقال للصغير: اجمع قلبك على طلب هذه الخمس لأن من طلبها نجا:

١) الهداية.

٢) العافية.

٣) الولاية.

٤) البركة.

٥) الوقاية من الشر.

ثم اثنِ على الله بهذا الثناء.

نبدأ الآن في بيان أهمية هذه المطالب:

المطلب الأول: "الهداية"

"اللهمَّ اهْدِنا فيمَن هَدَيْت"

إذا أصبحت الهداية مطلبًا له سيكون حريصًا على طلبها وبذل الجهد والتفكير فيها، وأكثر ما يضيع شبابنا أنهم لا يطلبون الهداية في أمورهم، إنما يعتمدون على آرائهم في كل شأنهم، فكم مرَّة استهدى الله قبل أن يشتري متطلباته؟ منذ أن كان صغيرًا يريد أن يشتري لوازمه إلى أن يكبر ويقرر أن يشتري سيارة، كم مرة طلب الهداية من الله؟ كم مرة قبل أن يصاحب أحدًا، طلب من الله أن يهديه؟ كم مرة استهدى الله في أمر يريده ويراه صعبًا ويرى نفسه في مفترق طرق؟

(الاستهداء) شيء آخر غير **(الاستخارة)**، **(الاستهداء)** عبادة ملازمة له طوال الحياة، يستهدي الله: يسير في هذا الطريق أو يسير في هذا الطريق؟

أي أن **المستهدي قلبه مليء بالإحساس بالخوف من التيه**، يخاف أن يتوه، يخاف أن يقع في مصيبة، يخاف أن يُجاري أحدًا فيُضلُه، يخاف أن يتخذ قرارًا فيضيع بسببه! هل تتصورين أن هؤلاء الذين دخلوا في المخدرات أو في الارهاب أو في الإلحاد عاشوا حياتهم مستهدين الله؟! لا يمكن أن يُتصور أن هؤلاء كانوا يستهدون الله! ما تاهوا هذا التيه إلا لأنهم

لم يستهدوا الله، ما كان طلب الهداية شأن معروف عندهم، ما كُرّر عليهم هذا المفهوم، ما قيل لهم: "دعنا نستهدي ربنا ماذا نفعل؟" ، "دعنا نستهدي ربنا ماذا نشتري؟".

ولابد أن يتخيلوا في الاستهداء أنهم الآن واقفون في مكان وكل الطرق تشبه بعضها! لكن واحد من هذه الطرق نهايته قاع محيط، واحد من هذه الطرق نهايته طرف جبل، واحد من هذه الطرق نهايته وحوش ضارية!

وواحد من الطرق سليم. لكن، أي واحد وكل الطرق تشبه بعضها؟!! إلى أين أتوجَّه؟ لا يوجد غير أن أستهدي العليم الحكيم، يجب أن يشعر أنه تائه لا يدلّه إلا الله، أنا وإياه تائهون، لا نريد أن نكون كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، لا نريد أن تضللنا الناس، لا نريد أن نكون محفوظين بالتوحيد، وفجأة نكون مثل ذاك الذي خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، فأول المفاهيم المهمة التي يجب بناؤها: "مفهوم الاستهداء" ولذلك انظري للرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم-وهو يعلم الحسن فيقول له: "قل: اللهم اهدنا فيمن هديت"، ويعلّم والده-يعلم عليّ-كما في الحديث: ((قُلْ اللَّهُمَّ اهْدِنِي

وَسَدِّدْنِي))[١]، ما أعظم طلب الهداية! تدخلين على الناس وأنت لا تعرفين ماذا ستقولين لهم، تذهبين وأنت لا تعرفين كيف تقنعينهم، فتقولي: "اللهم اهدني وسدِّدني"؛ فيفتح لك الله؛ لأننا ضعفاء ولا يُقويِّنا إلا الله، وفقراء ولا يُغنينا إلا الله، وعاجزون ولا يقدِّرنا إلا الله.

فيجب أن تصير هذه المشاعر عندي وعنده، يجب أن تملكني وتملكه مشاعر العبودية فيفهم أنه في كل شأن تائه ولا يهديه إلا الله؛ فلا يغترون بما يقال لهم من كلام جميل معسول!

وهذه مواقف حقيقية، شباب صغار يكون أحدهم في موقع من المواقع يتكلم مع واحدة ويراها تقول كلامًا جميلًا فتجده مباشرة يقول لها: "أنا سوف أخطبك وأنا صادق"، فتقول له: "أنا بعمر أمك"!

لماذا هذا؟!!

هذا لأنهم لا يُميّزون بين الأشياء، وهذا طبيعي أنهم لا يُميّزون؛ لأنهم ما عُلِّموا كيف يميزون وظنّ آباؤهم أن التمييز يأتي بالتجربة والخطأ!! هذا

(١) "قال لي رسولُ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-" قل: اللهمَّ! اهدِني وسدِّدْني. واذكر، بالهدى، هدايتَك الطريقَ. والسَّدادَ، سدادَ السَّهمِ" رواه مسلم (كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ / بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ / ٢٧٢٥)

خطأ، وإلا فلماذا نقول: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[١] كل يوم في الفاتحة، حتى نجرب ونخطأ؟!!

(نجرب ونخطأ) قد تكون نهايتها أن يقع في إدمان أو في انحراف أو في إلحاد! ما الذي يرده حينئذ؟!!

فيجب أن يستهدي، ويجب أن يعلم أنه سائر في طريق لا ينفعه إلا الاستهداء.

هذا معناه: أن مفهوم (طلب الهداية) يجب أن يُعظَّم ويكبر في نفسه إلى أن تصبح الهداية قيمة عنده، أمَّا أن نقول له دائمًا: "أنا أتمنى أن تكون طبيبًا، أو مهندسًا...!!"، ونسكت، فهذا يعني أننا مازلنا نريد عمالًا يمشون في الشارع ؟!! لكن علينا أن نقول له: "أنا أتمنَّى أن تكون ذاك المهتدي الذي يستهدي الله في كل موقف، نريد أن تكون معافًى، وليًا لله، مباركًا، بعيدًا عن الشر، كل هذه آمالنا.

ويجب أن تصبح مفاهيم عالية عنده حتى يشعر أنه خائف من التيه لا يريد أن يضيع، هل تعرفون مشاعر مَن تاه في الحرم أو في السوق؟ ماذا

(١) [سورة الفاتحة: ٦]

تكون مشاعره إذا نزل السوق بعد ذلك؟ يقول: "أخاف أن أضيع". لأنه جرب الضياع.

فولدنا لا يتخيل أنه يسير في الدنيا ضائع! نحن في التربية ماذا نفعل؟ نقول له: أنت ضائع؛ يجب أن تطلب الهداية من الله، لا يهديك إلا الله، وفي كل شأن لك يجب أن تستهدي الله، في كل شأن أنت عندك طريقين خير وشر، لا تغرك الأشياء، لا تصاحب أي أحد، لا تتخذ قرارات سريعة، لا تكن عجولًا، استهدِ الله، اطلب الهداية من الله. فنقول بأشكال مختلفة وكما يرزقنا الله الفرص، فلا تفكري كثيرًا في آليات إيصال المعنى، فكري **ما هو الشيء المهم الذي يجب أن نوصله**، ثم آليات إيصال هذا المعنى، أنكم ستجدون فرصًا أمامكم وأنتم مُلئتم بالحق؛ فستخرجوا الحق الذي عندكم، مشكلتنا أننا دائمًا نفكر "كيف أقول؟" ولا نفكر "ماذا أقول؟"، "ما هو الشيء المهم الذي يجب أن أعلِّمه إياه؟" أنت لو تعلمتِ الشيء المهم؛ لا تتصوَّري كيف يجريه الله على لسانك في الوقت المناسب لأنك أنت بنفسك طوال الوقت تستهدين وتطلبين الهداية، مثلًا عندك طفل عمره ١٠ سنوات، يقول لك: أريد أن أخرج مع أصحابي ألعب عند الباب. وأنت الآن في لحظة قرار ما عندك إلا أن تستهدي الله، فيسمعك تقولين:

"اللهم اهدني وسددني" حتى تتخذي قرارًا سليمًا، فيعرف أننا ضائعين لولا أن يهدينا الله.

وعندما يطلب الهداية من الله كأنه يطلب أمرين معًا، ما هما الأمران؟

١) هناك ما يسمى بهداية الإرشاد.

فكأنه يقول: (يا رب اهدني) أي: يا رب علمني الحق.

٢) وهناك ما يسمى بهداية التوفيق.

فكأنه يقول: (يا رب اهدني) أي: قوِّني لأعمل ما يرضيك.

(اهدني) أي: علمني، و (اهدني) أي: اجعلني ممن يعمل.

والثانية التي هي العمل تشبه (اللهم اعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) الثانية في طلب الهداية كأنها تعني: أعنّي على الطاعة.

فإذًا الذي يقول: (اهدني) أولًا يجب أن يكون فقيرًا إلى الهداية، محتاجًا إلى الهداية. يأتي أحد يقول: "والله أنا طوال النهار والليل أقول: يا رب اهدني"، تقولها بطرف لسانك، وفي الحديث: ((واعلَموا أنَّ اللهَ لا يَستَجيبُ دُعاءً مِن قلبٍ غافِلٍ لاهٍ))[١]، لا يقبل دعاءً من قلب لاه، أي

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) واللفظ له، والبزار (١٠٠٦١)، وحسّنه الألباني.

قلبك في مكان ثانٍ وتكذب على ربنا! لا تخادع ربنا فهذا عمل المنافقين والكاذبين والكفار، لكن المؤمنين المتقين يعلمون أن ربهم مطّلع على ما في قلوبهم، لا تعامل ربنا كما تعامل الخلق، عندما تقول: (اهدني) يجب أن تكون صادقًا فقيرًا تشعر أنك إذا ما هداك تهت، لكن هذا عمل من؟ هذا عملي أنا معه، أنا دائمًا أكرر عليه وأبين له: "لو ما هدانا الله ما كنا، لو ما أرشدنا الله ما كنا، لو ما فَهمّنا الله ما كنا، لو ما علّمنا الله ما كنا، لو تدري أين كنت والله أتى بي وقربني وعلمني"!

وعندما تقول: "ربنا ما أراد لي الهداية"، نسألك: هل طلبتها بصدق؟ إذا طلبتها بصدق فلن يخذلك الله، لكن المشكلة أنك ما طلبتها بصدق، على ماذا تعتمد؟! أنت ابن مَن؟! حتى تأتيك الهداية، أنت من تراب وما لك إلا الذُّل بين يدي الرب الكريم، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}(١). ولذا هذه الجملة مهمة لهم عندما يقتربون من البلوغ، وتبدأ تصير عندهم إشكالات ويقولون: "ربنا ما أذِن أن يهدينا"، فالجواب: من طلب الهداية بصدق أُعطيها، وهذا وعد من الله:

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا} أي: والذين صدقوا في طلب الهداية، وجاهدوا أنفسهم {زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}، فالبداية دائمًا من عند الإنسان.

---

(١) [سورة محمد: ١٧]

إذًا اتفقنا أن الهداية ستكون نوعين: هداية إرشاد وهداية توفيق.

والهداية النافعة هي التي يجمع الله فيها للعباد بين العلم والعمل؛ لأن الهداية بدون عمل لا تنفع، بل هي ضرر لأن الإنسان إذا لم يعمل بما علم صار علمه وبالًا عليه.

- اتفقنا-والحمد لله-على الجملة الأولى والتي هي قول النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في الدعاء: "اللهم اهدني".

- واتفقنا على أن الهداية لابد أن تكون مطلبًا.

-واتفقنا على أن الهداية نوعان: هداية إرشاد وهداية توفيق.

بقيت الجملة الثانية: "فيمن هديت".

قال ابن القيم في " شفاء العليل":

"وقوله (فيمن هديت) فيه فوائد:

أحدها: أنه سؤال له أن يدخله في جملة المهديين وزمرتهم ورفقتهم".

هو يقول لربه: (اهدني فيمن علمت أنك هديتهم قبلي، أنا لا أعلمهم، لكني أحبّهم وأحبّ أن أتولاهم)، هذا معناه أن يفهم أنه ليس وحيدًا وأن مَن قبله كان فيهم مهتدون، يعني له فئة، له جماعة، له زمرة ينضم معهم

بروحه وإن كان ببدنه بعيدًا عنهم، وإذا دخل في زمرة الطيبين الصالحين؛ يكون خرج من زمرة الفاسدين، وإذا كان في زمرة الصالحين انتفع بهم، حتى لو ما اختلط بهم فإن دعوتهم باقية بعدهم.

معناها: أنه العبد يحب أن يجتمع مع الصالحين، يحب أن يكون من زمرة المهديين وليس الصفة المخالفة.

قال ابن القيم-رحمه الله-:

"الثانية: توسل إليه بإحسانه وإنعامه، أي: يا رب قد هديت من عبادك بشرًا كثيرًا فضلًا منك وإحسانًا فأحسن إليّ كما أحسنت إليهم، كما يقول الرجل للملك: اجعلني من جملة من أغنيته وأعطيته وأحسنت إليه".

أي: كأننا نطلب من الله ونتوسل إليه بما نعرف من فِعْلِه، هذا نوع من أنواع التوسل إلى الله، نتوسل إليه بإحسانه وإنعامه على غيرنا، فنقول: "كما هديتهم اهدنا"، قد تمتع الخلق بهدايتك لهم اجعلني ممن هديتهم.

وهذا معناه أن العبد متيقن أن الله يهدي من يشاء، ومتيقن أنه كما هدى غيره قادرٌ على أن يهديه وهذا يعلّمنا شيء مهم-بعيدًا عن نفس المعنى-وهو **أن نعلم أن الله على كل شيء قدير وألا تستبعد الهداية عن**

أحد، نكون نحن مثلا في الصراط المستقيم ولنا رفقاء درب كانوا معنا في مراحل من حياتنا-معي في الوظيفة، جيران...-بعيدين تمامًا عن الحق. ثم نفاجأ بهم في دروس العلم، أو في مكان يحفظون القرآن.

لماذا نفاجأ؟!! الله قادر على هداية من يشاء، والله عليمٌ حكيم يعلم قلوب الناس، فأنت تخطئ إذا استبعدت الهداية عن أحد، ولا حتى عن أبنائنا؛ لأن كثير من الأحيان نراهم يبتعدون، تقسو قلوبهم، يزيد عليهم حب الدنيا؛ فيقع في قلوبنا الاستبعاد، لا! بل نقول: "اهدهم كما هديت غيرهم"، انظروا لخالد بن الوليد-رضي الله عنه-قبل أن يكون مسلمًا كان في صف من قاتل المسلمين...ثم هداه الله! الأمر بيد الله لا تستطيع أن تستبعد عن أحد شيء، وتقول: هذا أقدّر له أنه لن يهتدي، هذا أقدّر له أنّه لن يصلح، لا هذا ليس شأننا ومن ذلك أن لا نيأس من هداية أبنائنا.

قال ابن القيم-رحمه الله-:

"الثالثة: إن ما حصل لأولئك من الهدى لم يكن منهم ولا بأنفسهم وإنما كان منك فأنت الذي هديتهم". أي: نستفيد من جملة "اهدني فيمن هديت" أن نعرف أن الذين سبق واهتدوا إنما هداهم الله، لم يهتدوا بأنفسهم.

نرجع مرة ثانية هنا للإشكال: "إذا كانوا هداهم الله وأنا لم أهتدِ فمعناه أن الله ما أذن لي!"، نقول: لا، الله عليم حكيم، من كان صادقًا طالبًا للهداية هداه الله، قال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[١]، أي: يعلم الصادق، حكيم في وضع هذه الهداية في مكانها فلا يهدي الله إلا من كان صادقًا. ودائمًا تذكرون له قصة سلمان الفارسي-رضي الله عنه-، كيف أنه كان صادقًا في طلب الهداية، ومرّ على مواقف وأحداث، وبعدما كان ابنًا له مكانته عند أهله، أصبح عبدًا قد باعوه واشتروه إلى أن يصل ويكون همّه كله أن يصل إلى الهداية. فهو نموذج لطلب الهداية لما صدق هذا النموذج وهو فارسي أصبح من صحابة النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-.

وتحكون له نموذجًا آخر للصدق وهم سَحرة فرعون، هؤلاء كانوا حزبًا واحدًا إلى أن نزلوا ساحة القتال التي فيها سيستعرضون السحر، نزلوا هذه الساحة وهم فريق واحد-فريق الكفر-، وأتوا من أجل الدنيا، قال تعالى:

(١) [سورة الانسان: ٣٠]

{وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤)}[١].

لكن تحركت فيهم بقايا الفطرة فنفعتهم؛ فقَبلوا الآية فأصبحوا من فريق الإيمان، قالوا: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[٢].

كيف حصل هذا الانقلاب!! لكن الله عليم حكيم، أمَّا فرعون الذي عُرضت عليه الآيات بل وأكثر منهم، لم يقبل الإيمان! فالشأن للصادقين!

هو يعلم أنهم على الحق لكن العناد والاستكبار! هذه هي الأزمة، الاستكبار جعله لا يقبل الحق! فالله أعلم أين يضع الحق، أين يضع الهداية، في قلب مَن، مَن تكون في قلبه إرادة الحق سيدّله الله، مَن يقبل الحق سيدّله-سبحانه وتعالى-وهو أعلم بما في النفوس، ويهدي الصادق في إرادة الهداية، لكن قلبك هذا الذي بين جنبيك أنت لا تستطيع أن تُقلِّبُه الله يُقلِّبه، أنت اصدق في إرادة الهداية والله يخرجك مما أنت فيه.

يقول ابن القيم-رحمه الله-أيضًا في "تهذيب مدارج السالكين" كلامًا جميلًا في هذا المعنى "فيمن هديت":

(١) [سورة الأعراف: ١١٣-١١٤]

(٢) [سورة طه: ٧٢]

"وَالْقَصْدُ: أَنَّ فِي ذِكْرِ هَذَا الرَّفِيقِ مَا يُزِيلُ وَحْشَةَ التَّفَرُّدِ، وَيَحُثُّ عَلَى السَّيْرِ وَالتَّشْمِيرِ لِلَّحَاقِ بِهِمْ. وَهَذِهِ إِحْدَى الْفَوَائِدِ فِي دُعَاءِ الْقُنُوتِ " اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ " أَيْ أَدْخِلْنِي فِي هَذِهِ الزُّمْرَةِ، وَاجْعَلْنِي رَفِيقًا لَهُمْ وَمَعَهُمْ".

فعندما يأتي يقول لك: أنا وحدي في الفصل الذي أصلّي السنّة وهم لا يصلّون!

أنا وحدي في الفصل أعمل كذا وكذا...قولي له: هؤلاء ليسوا أصحابك، أصحابك هم الذين تقول لربنا عنهم في الدعاء: "اللهم اهدني فيمن هديت" زمرتك قد سبقتك وأنت لاحق بهم وستجتمع بهم.

وكل حين سنقول له: سنجتمع بأحبابنا، سنجتمع بأحبابنا، ليسوا هؤلاء، اصبر، ستراهم. إلى أن يخرج نفسيًا من هؤلاء المُخذّلين ويطمح أن يجتمع بالنبي الكريم والصحابة الكرام والعلماء والتابعين، فيصبح هؤلاء أمام عينيه فيعيش الحياة وهو ساكن لا يشعر أنه غريب.

الحمد لله انتهينا من الكلام حول المطلب الأول، نأتي إلى:

المطلب الثاني: "العافية"

"وعَافِنَا فِيمَن عَافَيْت"

سأبدأ أولًا بالكلام حول **مفهوم العافية**، العافية ستكون أكيد في موطنين:

١) **العافية في قلب الإنسان.**

٢) **والعافية في بدن الإنسان.**

كأننا نقول: إننا نريد العافية المطلقة ابتداءً من الخطر العظيم وهو: الكفر، والفسوق، والعصيان، والغفلة، والأمراض والأسقام والفتن، وفعل ما لا يحبه وترك ما يحبه، نريد أن نتعافى من هذا كله.

أول الأمر، سنخرج من هذه الجملة: "وعافنا فيمن عافيت" بأن نجعل القلب شيئًا مهمًا جدًا في حياتنا، ونطلب له الغذاء ونطلب له الدواء، ونطلب له العافية.

سنجعل الابنة تلتفت لأثر قلبها، وتعرف أن القلب ممكن أن يمرض، تأتي تقول لكِ: "أبدًا ما أعجبتني هذه الصاحبة، هذه الصاحبة أتمنى أن

تصاب بكذا وكذا"! أو تقول: "أنا أشعر أنه لا يوجد أحد يليق أن يجلس بجانبي من أصحابي"!

أنت مباشرة قولي لها: أنت مريضة، قلبك مريض وهذا المرض لابد أن تطلبي له الشفاء وإلا ستهلكين!

هذا ليس قلبًا صحيحًا، أسأل الله أن يعافي قلبك، أنت مريضة وبعدها سيموت قلبك! والناس الذين يحتقرون الناس ويرونهم أقلًا منهم هؤلاء عند الله لا شيء؛ لأن الكبر مرض أصاب إبليس فأخرجه من الجنة.

وندخل إلى الكبر والنقاش فيه، وكلَّما شعرت بمظهر من مظاهر الأمراض يجب أن ألفت نظرها، وممكن أن أقول لها: هذه نقطة سوداء في قلبك وإذا تركتِها ستكبر حتى يكون قلبك أسود تمامًا!

وهذه الكلمات ليست من الخيال إنما وردت في الحديث، قال رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم-:

((تُعرَضُ الفتَنُ علَى القلوبِ كالحصيرِ عودًا عودًا فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها نُكِتَ فيهِ نُكتةٌ سَوداءُ))(١).

(١) رواه مسلم (١٤٤)

لكن الصغير لا نعتقد أنه ينكت في قلبه نكتة سوداء؛ لأن مَن دون البلوغ تُكتب له حسناته ولا تُكتب عليه سيئاته والله أعلم.

لكن يجب أن يتنبه للصورة، أنه تأتي نقطة سوداء في القلب! ونقطة سوداء على نقطة سوداء حتى يكون قلبك أسود، وأسود هذا مزعج بالنسبة لهم، ولابد أن يتنبّه أن معاملة الله له تكون على ما قام في قلبه.

فيجب أن يخاف الابن، يجب أن يشعر أن القلب هذا شيء خطير لو مرض، أو مات؛ انتهى هو.

ولو نريد أن نراجع أنفسنا سنجد أننا لم نكتشف قلوبنا ولم نعرف أن لها أثرًا إلا في وقت متأخر، وما كنا نعرف أن الأشياء تُنتزع بركتها؛ لأن فينا حسدًا-مثلًا-، ما كنا نعرف ما هو الحسد أصلًا! كنا نسمع كلامًا ولا ندري أن الضيق-فقط-الذي يحصل في قلوبنا عند رؤية نعمة غيرنا، يعني أننا حاسدون!

كنَّا نقول كلامًا فيه غِل على أحد، ولا نرى بأسًا، لكن لأن الذي في قلبي ليس صافيًا خرج على ألفاظي فوصل إلى قلب السامع! وهذا لأننا غفلنا أننا نعامل ربّ الناس الذي يعلم ما انطوت عليه هذه القلوب.

- الشاهد، أن عدم الالتفات للقلب وعافيته مصيبة كبيرة.

علينا أيضًا أن نلفت نظره أن عافية البدن شيء مهم والله رزقنا بهذا البدن فيجب أن نحافظ عليه من أجل طاعة الله، فلا يأتِ ويقول: "أنا هوايتي تسلق الجبال"، أو يقول: "أنا هوايتي أن أمشي من جبل لجبل على خيط"!! أو يقول: " أريد أن أذهب للملاهي وألعب ألعابًا مخيفة أو خطرة"!!

نقول: اسمع، أنت روحك لها منزلة عند الله غالية، أنت مؤمن، هذا الكلام يصلح لمن لا يعرف الغاية من خَلْقِه، لكن مَن عرف الغاية من خلقه، عرف أن بدنه آلة ليس من حقه إزهاقها.

سيقول لك: "لا توسوسي"!

قولي له: "سَل نفسك وسوف تميِّز: هل لو مت هناك في مثل هذا الموقف سيكون هذا حُسن خاتمة أم سوء خاتمة؟!!"

فإدخال مثل هذه الأشياء على أنها هوايات، إدخالها على أنها أمور لا بأس بها، هذا كله خلاف ما نعتقد في المحافظة على أرواحنا.

لابد أن يحافظ على روحه، فلا يأتيك كل يوم وفيه كسر من أثر اللعب أو المضاربة مع أصحابه، قولي له: "جسمك هذا آلة تخدمك في طاعة الله"، هذه العافية البدنية والنقاش فيها واضح، لكن مشكلتنا الكبرى هي العافية القلبية، مرة أخرى سنقول له في نقاط محددة:

- أنتَ عبارة عن قلب.
- الله يَنظر إلى قلبك.
- يجب أن تطلب لقلبك العافية.
- عافية القلب معناها: ...ونعدّ له معنى عافية القلب.

والناس ترونهم اليوم يكلمونك عن أهمية الغذاء وكل كذا حتى لا تمرض وعرِّض نفسك لأشعة الشمس لتحصل على فيتامين (د)...، هم يتكلمون عن عافية البدن بطريقة تجعل صغارهم عندهم وسوسة ويخافون من الأمراض وطوال الوقت مشغولين بصحتهم وينسون أن قلوبهم مهمة! لا بأس العافية في البدن مطلوبة؛ لأن الطاعة لا تكون إلا من بدن معافى، لكن إذا تعافى القلب جرّ هذا البدن إلى الطاعة، وأنتم ترون كيف نساء كبيرات في السن أبدانهن تكاد تكون انتهت! وتقف تقوم الليل، وكيف صغيرات نائمات على الجوالات...، القصة ليست في عافية البدن، القصة في عافية القلب، يجب أن تشعر أن شغلها الشاغل طوال الوقت أن يكون لها قلب مُعافى، وأن عليها أن تشعر بالمرض وعوراضه، مثلما نشعر بسخونة البدن إشارة إلى المرض، فقولي لها:

- أنتِ لو شعرتِ بغصة لنعمة غيركِ فإنك حاسدة.

- يجب أن تخافي لو شعرتِ ببغض لناس طيبين وصالحين وفي مظاهرهم كل خير، يجب أن تسألي نفسك: من أين أتاك هذا البغض؟
- يجب أن تشعري أن من علامات التكبر: أنك إذا أحد أخطأ في حقك: انتهى موضوعه!
- يجب أن تشعري أن من علامات العُجْب بالنفس: أن تري أنه لا يوجد أحد مثلك!
- احذري من مشاعر منافسة الناس وإرادة أن يكونوا أقل منك فتقولي: إن شاء الله يذهبون للسوق ولا يجدون شيئًا يناسبهم!

كل هذه المشاعر الخطيرة ألا تعتبر سخونة؟! ألا تدل على مرض؟! بل حمَّى، حمَّى ستموت بعدها!!

لكن لو ترتفع درجة حرارة بدنها قليلًا؛ كل الناس يعطونها مسكنات وكمادات، والقلب هذا يكون في طريقه للموت، ولا يشعر أحد به، وهذا الكلام طبعًا أنتم تعرفونه من سن (٩ و١٠ و١١) كل هذا يخرج من ألسنتهم ويقولونه، ثم يبدؤون يكتمونه عندما يشعرون أنه خطأ يجب أن لا يظهر عليهم! **فيجب من هذا السن أن نجعل مفهوم عافية القلب من المفاهيم المهمة جدًّا.**

- إذًا الطالب "اللهم عافني فيمن عافيت"، يطلب الشفاء أو المعافاة من أمراض القلب ومن أمراض البدن.

الآن سنبدأ في أمراض القلب باختصار، ونقول: **إن القلب يمرض بنوعين** من الأمراض:

- **أمراض الشهوات.**
- **أمراض الشبهات.**

نبدأ بـ **"أمراض الشهوات"**:

معناها: أن الإنسان يعرف الحق، لكن ما هي مشكلته؟ لا يريد الحق؛ لأنه يخالف هواه وهذا المرض خطير جدًا ومنتشر جدًا، فكثير من البنات والأولاد يقومون بتجاوزات أخلاقية-خصوصًا في العلاقات-وهم يتصفحون في صفحات الانترنت، ثم يأتونك بأعذار كأن يأتي أحدهم يقول: "أنا لم أرتكب خطئًا"، "أنا أكلمها كأنها أختي"!

يعني هو يعرف الخطأ وليس بجاهل، لكن قلبه أُصيب بالمرض الذي يجعله يرى الخطأ صوابًا! وتزيد هذه الأشياء من هذا النوع، إلى أن تجدي القيم العليا التي كانت موجودة في المجتمع تتنحى؛ نتيجة أن هؤلاء الشباب مريضي القلب أصبحت لهم القيادة! وهم مرضى قلوب، مرضى

بالشهوات؛ فيرى كل هذه الاشياء مباحات، وطبعا التفاصيل في هذا صعبة جدًا، لكن فيما حُكي لي عن هذه الافلام القصيرة التي ينتجونها انتقادًا للمجتمع، أن أبًا تأتي ابنته تقول له: أنا أريد أن أعمل طبيبة وهذا العمل فيه اختلاط. فيمنعها ويرفض، ثم يذهب بابنته أو بزوجته للمستشفى فلا يجد طبيبة! فكأنهم يقولون له: "تستحق ما أصابك"! فمثل هذا الكلام يخرج من قلب لم يتعافَ؛ لأننا جميعًا نعرف أننا نستطيع أن نُنشئ أماكن منفصلة ولا يكون فيها تعرض لهذه الشهوات، وإذا كان أحد يريد أن ينتقد فلينتقد في المكان المناسب، أما أن يحتال ويجعل عمله يصب في صالح أهل الشهوات! فهذه المشكلة التي نعانيها الآن: ليس فقط أن الناس يمارسون الشهوات، بل أخطر من ذلك أن الناس سَيُبيحون الشهوات ويجعلونها من العادات!

ويقولون: "عادي ويجب عليك أن لا تنتقد"! وهذا طبعًا شيء خطير يعني أن أفعل الخطأ وأنا أعرف أنه خطأ، فهذا شطر المصيبة، لكن أن يتحول الخطأ إلى صواب ويحلوا الحرام فهذه المصيبة الكاملة!!

فحينما نطلب منهم أن يسألوا الله أن يُبقيهم متعافين هذا شيء مهم، يجب أن يعرفوا أن الشهوة إذا أصابت القلوب-وهذا أخطر شيء نعانيه-

تعمى الأبصار فيقع الإنسان في الرذيلة وهو يرى نفسه أنه لازال على الصراط المستقيم!

وهذا ما يسمونه اليوم بـ (التدين الجديد)، التدين الجديد: أن يرى نفسه مستقيمًا وديِّنًا وهو يفعل كل الأعمال التي توافق الهوى، فعليه أن يضع خطًا بينه وبين الحرام، لكننا وصلنا إلى حال أن يقول الناس: "حرام يعني حرام مطلقًا"!

والنبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-يقول: ((إنَّ الحَلالَ بيّنٌ وإنَّ الحَرامَ بيّنٌ وبينَهُمَا أمور مشْتَبَهَاتٌ لا يعْلَمُهُنَّ كثيرٌ من الناسِ. فمنْ اتَّقَى الشبهَاتِ استَبرَأَ لدينِهِ وعِرضِهِ. ومن وقعَ في الشبهَاتِ وقعَ في الحرامِ. كالراعِي يرعَى حولَ الحِمَى. يوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فيهِ))[١].

هذا كلام النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-فلا يجوز هذا الهزل الذي نعيشه! يجب أن يبقى الخطأ خطئًا، والصواب صوابًا، ونبقى ندور في دائرة الصواب ونبتعد عن دائرة الخطأ.

فالذي يطلب المعافاة كأنه يقول: "يا رب عافِ قلبي من الشهوات، ومن استحسان الشهوات-بل من استحسان الانتكاسات-"، يعني هل يمر على

---

(١) رواه مسلم (١٥٩٩)

الخاطر أن يأتي أحد أبنائنا ويقول: "لماذا تحاربون المثليّة؟ ، هم مرضى وهذه حرية"! هل هذا الكلام يخرج إلا من قلب قد امتلأ مرضًا إلى درجة أنه يستحسن ما لا تستحسنه الفطرة السوية؟! فهذا الحاصل الآن، أصبح عدم قبول هذا الانحراف الجنسي يعتمد على ذوقك! إذا كنتِ تقبلين هذه الأمور لا بأس، إذا لم تقبليها، ابتعدي عنها ولا تتكلمي فيها اتركيهم وحالهم!

انظروا كيف ينتشر المرض حتى يصل أن يموت القلب ويستحسن المنكرات، ثم يعُمّ العقاب إذا سكت هذا وهذا.

طبعا أنا أتكلم عن نوادر لكن هذه النوادر ممكن أن تنتشر بالوباء، وتصبح صورة عامة والناس يقبلونها!!

نحن لله نقول: يجب أن نعلِّم أولادنا أن يطلبوا العافية لقلوبهم من أمراض الشهوات، ما أخطر أمراض الشهوات!

صحيح أن الشبهات أخطر لكن هذا عندما نقارن الشبهة بالشهوة، لكن الشهوة نفسها مصيبة عظيمة، كيف انجرّ أناس كثيرين في المهالك إلا من جهة الشهوات؟!

كيف نأتي على مستوى العالم الإسلامي ونجد ارتفاع عدد اللقطاء! لماذا يرتفع عدد اللقطاء إلا بسبب الشهوات!

ما سبب رمي هذه الأرواح في الشوارع؟ أليس مرض الشهوة؟!

ومرض الشهوة لا ينحصر في هذا المعنى فقط، بل الشهوة توسعت إلى درجة أن أصبح الرجل المطلق لحيته، الغاضّ بصره، يأتي عند التلفاز ويشاهد النساء، ثم يقول: "هؤلاء يقدمون الأخبار، عادي"! كلها أمراض خطيرة، يجب أن نرجع من جديد نعيد النظر في هذه المسألة، ونجتهد في أن ندعو ربنا نحن وأبناؤنا أن يعافينا من أمراض الشهوات التي إذا استقرت في النفس لا نعود نشعر بالخطأ، ثم إذا عمّ البلاء أزاله الله بالعقوبات، انظروا كيف تحوّل الناس وأصبحوا يرون التي تهرب من بيت أهلها من أجل هذا العشيق أو الحبيب مظلومة ويجب أن يُدافع عنها! وهذا يسرق ويختلس ويدخل ويقوم بقرصنة إليكترونية على البنوك ويقولون: "هذا ذكي وفهيم وفطين! وكيف استطاع أن يخترق هذه الأماكن"!! هذه كلها من أبواب الشهوات، نعوذ بالله من الشيطان.

إذًا، ما دورنا في هذه العملية كلها؟! دائمًا نرجع المنكرات إلى مكانها لابد أن يبقى المنكر منكرًا فلا يتحول المنكر في نفوسنا إلى معروف، طبعًا أنتِ في

تربية أبنائك تجاهدين من الداخل وتقاومين مَن الخارج؛ لأنه يخرج فيرى الناس يمارسون كثير من المنكرات، أنا ماذا أستطيع أن أفعل؟!

لا بد أن تعرفي أن الصادق الذي يجاهد يُسدده الله، لا تفكري في أن أكثر الناس يمارسون المنكرات وأنا سأصبح وحدي ضد هذا الخارج. لا، بل سيعينك الله.

ثم يأتي ما هو أخطر من ذلك وهو **أمراض الشبهات**، وهذه منشؤها الجهل، وهذه الشبهات دائرة كلها حول عقيدة المرء، فعندما يقول: (يا رب عافني)، ويطلب معافاة قلبه، فكأنه يطلب السلامة في عقيدته.

وأبواب الشبهات كثيرة جدًا ومداخلها كثيرة جدًا، لكن نضرب مثالًا واحدًا من الشبهات التي تدخل على الأبناء فمن أخطر الشبهات التي تدخل على الأبناء: "الشبهات التي تتصل بوجود الله".

والتي انتهت اليوم بأن يتجرأ كثير منهم بإعلان الإلحاد!! في المواقع التي يتخفون وراءها!

كيف وصل الأمر إلى أن يعلنوا الإلحاد؟ بدأت المسألة بشبهة دخلت في قلبه، بقي يقرأ ويقلب حتى وصل إلى أن تستقر الشبهة في قلبه، ومهما أعطيناه من العلم النافع ما صار ينفع!

فلذا هذا الدعاء وهو يدعوه ونحن ندعوه يجب أن نكون قاصدين هذا الأمر: "يا رب عافنا من أمراض الشبهات والشهوات"، ويجب أن يعرف هذا الصغير أن عافية قلبه مطلب. يتعافى من ماذا؟ يتعافى من كل ما لا يحبُّه الله، وأول ما يجد قلبه يحبّ شيء يبغضه الله، فهذا يعني أن قلبه فيه مرض؛ ولذا الله-عزَّ وجلَّ-لما وصف منَّته على الصحابة الكرام قال: {وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ}[1].

فهذه تكون من الأدعية التي أقولها أنا والصغير، أن نطلب من الله أنْ يحبّب إلينا الإيمان ويُكرّه إلينا الكُفر والفُسُوق والعِصيان.

ومما يؤكد أن طلب العافية مهم هذا الحديث عن العباس عم رسول الله، أنه قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُ اللَّهَ بِهِ، فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ، سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، ثُمَّ مَكَثْتُ ثَلاثًا، ثُمَّ جِئْتُ، فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُ اللَّهَ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ))[2].

---

(١) [سورة الحجرات: ٧]

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٢٦) قال الشيخ الألباني: صحيح.

ونحن في أذكار الصباح والمساء نسأل الله-عزَّ وجلَّ-العافية، ونكرر ذلك بجمل متعددة، كلها تدل على أن العافية شيء مهم، ومن يسأل العافية فهو يسأل الله أن يجعل قلبه سليمًا معافًى من الكفر والنفاق والإلحاد وأسبابه، هذا الذي يسأل العافية فإن صدق مقصده كافأه الله، فنحن نسأل لأنفسنا ولأبنائنا العافية، ونحملهم مسؤولية طلب العافية.

وأيضًا نريد أن نحملهم مسؤولية أنه إذا ظهر لهم مؤشِّر يدل على أنهم بدؤوا يحبُّون الكفر والفسوق والعصيان أو يقبلونها، فلا بد أن ينقذوا أنفسهم، ولابد أن ينتبهوا لأنفسهم ويلاحظون أنهم في خطر، يعني يأتيني مراهق مثلًا ويكون في مدرسة ودخلوا في نقاش-خصوصًا في الفترة الماضية لما دخل الكلام عن المثليَّة، واعتراف دول بها-ووجد أصحابه يقولون: "لا، هذه حرية شخصية". أن يكون الإنسان سوي أو مثليّ هل هذه حريّة شخصيّة؟!!

فحينما يجد الناس قابلين للمنكر على أنه حريّة شخصيّة، ولا يقع في قلوبهم الكراهية، يمكن أن يتسرب إليه نفس المعنى ويبدأ قلبه يمرض ويفقد العافية. فلابد أن تبقى الأشياء في مكانها حتى لو اشتهر خلافها، وقد قال رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-: ((بدأ الإسلامُ غريبًا وسيَعودُ

غريبًا))[١]، لكننا لسنا في زمن الغربة، وسأقول لكم السبب: وجودنا نحن الآن معًا واجتماعنا وتكرار الاجتماعات، وفي أماكن كثيرة الناس يسمعون القرآن والدين، هل تستطيعين أن تقولي "إن هذه غربة"؟!! لا، ليس زمن الغربة، لكن زمن أننا نتمسك بديننا ونُظهر في داخل بيوتنا الحق، وبعد ذلك الشيطان يُخيفك بالناس الآخرين، عندهم لسان أول ما تكلمينهم يهاجمونك، يهاجمونك-فقط-لأجل أن الشيطان يؤزُّهم، وبعدها تظهر الحقيقة وتزول غمة هذا الكلام ويذهب لكن نحن نحافظ عليه.

إذًا من الأشياء المهمة جدًّا التي نهتم بها والتي يجب أن تبقى مفهومًا مطلوبًا عنده، أن يكون قلبه معافًى من الأمراض.

الآن القلب الغير متعافي من الأمراض-المريض-أقل شيء يسحبه إلى الباطل، أنتِ تصوري لو كان إنسان مصابًا بالإنفلونزا أقل ريح تسبب له الانتكاسة.

فهذا لو أصيب بمرض في قلبه وما أتته العافية أقل ريح تسبب له الانتكاسات، مثلًا لو أصيبوا بالوسواس وهم صغار، هؤلاء بمجرَّد أن يقتربوا من سن البلوغ يبدأ الشيطان يجرب معهم الوسواس، فيجعلهم يوسوسون في موت أحبابهم أو يجعلهم يوسوسون في الصلاة، أو يجعلهم

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٨٦) قال الألباني: صحيح.

يوسوسون في الوضوء، أو يوسوسون في الناس أنهم سيهجمون عليهم أو يعتدون عليهم، فالشيطان بمجرَّد أن يقترب الإنسان من سن البلوغ يتسلّط عليه بالوسواس، فلو كان قلبه مريضًا وأتاه أقل وسواس سوف يستسلم له!

فمن أجل ذلك لابد أن تطلب له العافية، ويقوّى قلبه، ويتعلم مَن هو الشيطان، وكيف تكون عداوته، وأنه هو الذي يحبّب للناس الفسق والفجور، ونبقى نقول له: "لو أحببت الباطل بعدها تصير من أهله"، "لو رضيت على الباطل بعدها تصير من أهله"، "هذا منكر يجب أن يبقى منكرًا".

عندما نُسأل عن الأشخاص الذين وقعوا في الإلحاد-وأنا أعتذر لتكراري هذا الكلام المزعج عن الإلحاد لكن نحن أصلًا مجتمعين خائفين على أولادنا وعلى مستقبل عقيدتهم؛ لأننا في خطر!-هؤلاء كانوا في بداية أمرهم قد استسلموا للشيطان وقتًا طويلًا في التفكير في الذات الإلهية، وما توقفوا عن التفكير! ثم لما وجدوا على صفحات الإنترنت من يساعدهم على الخروج بهذه الصورة، مباشرة بدون إقناع قَبِلوا الذي يقولونه وخرجوا معلنين أنه لا إله! تعالى الله عما يقولون.

إذًا معنى ذلك أن هؤلاء كانوا مرضى لم يشعر بهم أهلهم؛ فلأجل ذلك دائمًا علينا أن نفحص هذا الصغير الذي بين أيدينا، هذا الفحص يكون حول عقيدتنا وعظمة الله ونسبة النِّعم إليه، ويبقى هذا الفحص دائر بين أمرين:

- أن أكرر الحقائق.
- وأن أطلب الهداية.

وأقول له: اطلب الهداية، منْ يطلب الهداية يوصله الله؛ فمن أجل ذلك نطلب الهداية ونطلب العافية، فمن اهتدى وعافاه الله ثبت على الطريق، لا نريد أن يأتينا ابتلاء يهزّ إيماننا فنطلب من الله العافية؛ من أجل أن تُرَدّ عنا رياح الابتلاءات التي تهزّ الإيمان، فلأن يُبتلى الإنسان في الدنيا أهون من أن يكون بلاؤه في دينه، هذه هي المصيبة!

طبعا يجب أن تلاحظوا أن هذه المفاهيم تبدأ مع الصغير وتستمر وتستمر، ونحن نتكلم عنها طوال الوقت، فكأننا نقول للأم: إن المقياس الذي تقيس به بقاء هذا الصغير على الصراط المستقيم:

- ✓ أن يكون مهتمًا بالهداية وطالبًا لها.

❎ لكن عندما نجده غير مهتم بالهداية ولا يتناقش معي عنها بعدما تكلمت كثيرًا عنها وعن أهميتها، وكلَّما كلَّمتِه عن الهداية وجدتِه غير مهتم أو يشعر بأنه ليس كلامًا صائبًا، هنا نشعر بالخطر.

وهذا المعيار لا يستقر إلا عندما أملأ به قلبه، فلا أقيس الهداية-مثلًا- وأصلًا أنا لم أكلمه عنها! بل سأطيل الكلام عن الهداية وعن الاهتمام بها، فأقول:

- الهداية مسؤوليتك وأنت إذا طلبتها سيهديك الله.
- واطلب الهداية حتى لا تضيع...

وكل هذا الكلام، كل هذا الكلام، وبعدها نضع معيارًا ونقيس أين هو في طلب الهداية، ومثلها في المعافاة، أقول له:

- المعافاة شيء مهم.
- يجب أن تطلب من الله أن يعافيك.
- أن يبقى قلبك معافى من الأمراض، هذا شيء مهم.

ثم نرى هل هو يراقب قلبه أو لا يراقبه.

على كل حال، الموضوع يحتاج إلى نقاش أكثر، لكن كل واحدة من هذه المسائل تحتاج منكم أن تتوسعوا فيها.

الآن نأتي للجملة الثالثة، وهي من الأشياء التي سنثير اهتمام الصغار حولها، وندخل في نقاشات وكلّما كبر كلّما كبر الكلام عنها،

المطلب الثالث: "الولاية"

" وَتَولَّنا فِيمَن تَولَّيْت"

وهنا الكلام عن الولاية، وما ألذّ سماعه وفهمه ومعايشته!

نريد أن نلبّي فيه حاجة هو يحتاجها، هو يحب أن يكون هناك من يواليه؛ ولذلك ترون أنتم أنه يطلب أن يوالي الناس، الولاية بمعنى: الانتماء عند الناس، فالناس يحبون أن يكون لهم أولياء، ناس ينتمون إليهم، فحينما أقول له: الناس يبحثون عن أولياء هنا لأنفسهم مع الناس، وأنت سيكون وليك الله!

تطلب لنفسك موالاة الله؛ لأن الصغير يقول لك: "أنا ليس لي إخوة في المدرسة، ولا أولاد عم، ولا كذا، عندما يضربني أحد أو يهجم عليّ لا أجد معي من يساعدني ولا ينصرني". هو ماذا يريد؟ يريد وليًا ينصره!

فأنت لا تقولي له: "والدك يأتيك ويتدخل"، أو "أنا والدتك آتي إلى المدرسة وأتدخل". لا، ليست هذه الحلول!

يجب أن تكون الحلول ربانية، فيطلب من الله أن يتولاه، هو يحتاج إلى الولاية، يحتاج إلى النُّصرة والله ولي من تولاه، فمعنى هذا أننا سنجعل مفهوم الولاية لله من المفاهيم المهمّة، هذا المفهوم يظهر غالبًا عندما يحتكّ بالناس من سن ٧ سنوات تقريبا، ويرى الناس جماعة وهو وحده وهم ينتصرون لبعضهم وهو لا أحد ينتصر له، فيبدأ يشعر بالحاجة للولاية، فمن لحظة حاجته للولاية لابد أن نجعل من دعائه أن "تولّني فيمن تولّيت"، ويبقى مطلبه أن يتولاه هو، والمسألة مرتبة بوضوح،

- اطلب من الله أن يهديك الصراط المستقيم ويعينك على القيام بالعمل.
- أنت وحدك لا تستطيع.

- اطلب من الله أن يعافيك من كل بلاء وفتنة من أجل أن تبقى على الصراط المستقيم.
- ما دمت سائرًا على الصراط المستقيم، وتحب هذا الصراط؛ اطلب من الله أن يكون وليك الذي يتولاك.
- ومعنى (يتولاك) : ينصرك ويعينك.

وهنا سنناقش موضوعًا ربما يكون مختلطًا بالنسبة للناس في مسألة الولاية والأولياء، فالناس في كلمة "أولياء وولاية" ينقسمون إلى قسمين:

- قسم غالى وجعل الأولياء لهم قدرة ومكانة وأعمال يفعلونها دون الله.
- وقسم أنكر وجود الأولياء.

لكن أهل السنَّة والجماعة يرون الولاية موجودة، بل هي صفة لكل مؤمن تقيّ.

الآن ماذا أريد مع هذا الصغير:

أن أُشعره بحاجته للولاية كما أُشعره بحاجته للعافية كما أُشعره بحاجته للهداية، لابد أن يشعر أنه محتاج إلى أن يتولاه الله فينصره ويدفع عنه ويحفظه، وغدًا عندما يمرّ بمواقف يفهم هذا الشيء، يأتي يقول لك: "ربي نصرني، ربي أعانني، ربي حفظني"، يرى شواهد ولاية الله.

لكن في البداية يجب أن يكون عنده عنوان يضع تحته الشواهد، فأنتِ تقولي: "من تولى الله تولاه، ونحن نعرف الطريق لولاية الله".

الآن نناقش الولاية منفصلة لأجل أن نفهمها ونستطيع تقريبها للصغير.

الولاية ولايتان:

أ- ولاية عامة.

والمقصود بها أن الله-عزَّ وجلَّ-ولي كل الناس، بمعنى أنه مالكهم ومتولي أمرهم.

ب- ولاية خاصة.

وهي التي تقتضي العناية بمن تولاه الله-عزَّ وجلَّ-، وهي خاصة بالمؤمنين-وهي مقصدنا في الحديث-.

ومن أدلتها قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}[1] .

(١) [سورة البقرة: ٢٥٧]

إذًا، من تولاه الله كفاه وأخرجه من الظلمة في كل شأن إلى النور في كل شأن؛ فتجدوا ولي الله الأمور عنده واضحة تمامًا كالنور، والناس تائهين- طبعًا على حسب درجة الولاية وسيتبين لنا أن الولاية درجات-؛

ومن أجل ذلك تجدون هؤلاء الأتقياء في مواقف كثيرة يقول لك أحدهم: أنا أجد في نفسي حرج من القيام بهذا العمل"، تضيق نفسه بأمر الله من ولاية الله، حتى لا يدخل أمر لا يرضاه الله!

ولذا في الحديث: ((فإذا أحببتُه: كنتُ سمعَه الَّذي يسمَعُ به، وبصرَه الَّذي يُبصِرُبه، ويدَه الَّتي يبطِشُ بها))(١).

فمعنى ذلك أن الولاية منزلة عالية، صاحبها يتصرف في الحياة بصورة مستقيمة؛ لأن الله تولاه. وهذا ما يهمنا في الحياة

- ما هو التصرف السليم الآن؟
- كيف أرد على هذا الآن؟
- كيف أتعامل مع هذا؟
- كيف أصبر على هذا؟

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢)

دائمًا نقف في مفترق طرق ولا نعرف إلى أين سنذهب، ماذا نفعل؟ فالذي يهديه الله ويعافيه ويتولاه؛ سيكون سمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها، حتى أنه لو سأل الله لأعطاه، ولو استعان بالله لأعانه! فمعنى ذلك أنه سيكون في منزلة عالية لو أصبحت هذه الولاية مطلبًا له.

سنأتي الآن إلى الطريق الذي تكون به الولاية.

كيف تُنال ولاية الله؟

باختصار هذه الآية التي في سورة يونس ترشدنا إلى طريق الولاية، قال تعالى:

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} من أولياء الله؟ {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}[1].

إذًا معناه أن كل من كان له نصيب في الإيمان والتقوى كان له نصيب في الولاية؛ فعلى ذلك كل المؤمنين أولياء لكن درجتهم متفاوتة على أساس الإيمان والتقوى، فكلَّما زاد الإنسان يقينًا بالله وبالدار الآخرة وزاد تقوى-عمل بجوارحه-كلَّما زاد مكانة عند الله وتولاه الله.

(١) [سورة يونس: ٦٢-٦٣]

معنى ذلك أن

الأكثر إيمانًا و أكثر عملًا هو أكثر ولاية.

وهذا الشيء مهم جدًّا بالنسبة للصغير، قولي له:

- هل تريد أن ينصرك الله؟
- هل تريد أن يحفظك الله؟
- هل تريد أن يكون الله معك في كل مكان؟

كلَّما زدت طلبًا لولاية الله؛ تولاك الله، ورفعك وأعطاك الطريق.

هو عندما ينضج ويفكر سيعرف، لكن نحن في مرحلة التربية مرادنا أن نجعل ولاية الله مقصد له، معنى ذلك أنكِ ستبذلين كل جهدك حتى يشعرون أن الهداية شيء مهم، ستبذلين كل جهدك حتى يفهم أن طلب العافية شيء مهم.

"أن يتولاني الله" هذا المقصد الذي إذا أصبح مُهِمًّا سار عليه في مستقبل أمره، وأنا أؤكد عليكم ما اتفقنا عليه أننا في مرحلة الطفولة:

- نزرع مفاهيمًا.
- إلى أن تصل إلى أن تصبح قيمًا.

- إلى أن تصل إلى أن تصبح عقيدة.

وفي مرحلة الشباب هو ينفعل بالذي بنيْتِه في مرحلة الطفولة، فلا تجعلوا المقياس هو انفعاله، أنتم تعرفون أن الله ضرب مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة في كتابه، والكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة: {أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}[١].

تصوري النخلة {أصلها ثابت} أي جذورها في داخل الأرض، هكذا في يوم أو يومين أو ثلاثة أو أربعة أيام؟!! لا طبعًا، بالسنين حتى تصبح جذورها ثابتة في الأرض وكلما كان جذرها في الأرض عميقًا، كلما كان ساقها في السماء عاليًا.

ومن المعلوم أن شجرة مثل شجرة الزيتون التي وصفها الله بأنها مباركة، عمرها حتى تنتج أول نتاج لها ٣٠ سنة!

وهي قصيرة ليست طويلة لكن ٣٠ عام حتى تنتج! هذا ماذا يعني؟، هذا يعني أن نعلم أن جني الثمرات ليس الآن. أنا مقصدي أن أهتم في سن الطفولة وما يسمونها بالمراهقة بأن أجعل هذه الأشياء مهمة. ماذا لو جعلتها مهمة وهو يعارضني! لا عليكِ، هو فطرته مستعدة للذي تقولينه،

(١) [سورة إبراهيم: ٢٤]

سيدخل ما تقولينه قلبه سواء رضي أو لم يرضَ، متى يظهر؟ عندما ينضج عقله ويبدأ يتخذ هو لنفسه قرارات، الله سيرشده إلى الحق لكن أهم شيء:

- أن تصبح هذه المفاهيم واضحة أمامه، فلا يأتِ ويقول: ربنا ما أراد أن اهتدي. لا، بل أزيلي هذه الشبهة عنه بمفهوم الهداية.
- ولا يأتِ ويقول: "ألعب رياضة وأجري وأهتم بعافية بدني" بينما قلبه خَرْبان، ولا يعتني به! بيّني له مفهوم العافية.

وماذا أفعل به عندما يكون طبيبًا كبيرًا، أو مهندسًا كبيرًا أو له مكانة وفي داخله الحسد والحقد على المجتمع، بماذا سيفيدني مثل هذا؟! هذا لا أحتاج له ولا المجتمع يحتاجه مهما نجح في الحياة!

أيضًا من المسائل المهمة والخطيرة في مسألة الولاية، عندما يريد أن تكون له عصبة! الخطر هنا أنه لو تُرك لذهب به أحدهم يمنة ويسرة، ألا ترين كيف يشجعون الفرق والرياضة ويكوّنون عُصب حولها، فقط يريدون النُصرة، فقط يريدون أحدًا معهم، لكن عندما يفهم أن هذه النُّصرة لا تكون بهؤلاء، هؤلاء لا ينفعونك، لا يتولاك حق الولاية إلا الله، حتى لو اليوم ما سمع، غدًا يربيه الله وهو يعرف يفسر تربية الله، المشكلة أنه لو

ما كانت عنده قواعد سليمة في التفكير، حتى لو مرت عليه المواقف لا يعرف كيف يفسرها! لكن عندما تضعين له قواعد سليمة وتمر عليه مواقف يقول: نعم، هذا كلام أمي، هذا كلام والدي، يعرف يفسر الأحداث التي تمر عليه، لكن أن يبقى جاهلًا وهو يكتشف، وأحيانًا يخرج بنتائج غير صحيحة! فهذا خطر.

المطلب الرابع: "البركة"

"وَبَارِك لَنَا فِيمَا أَعْطَيْت"

وهذه قضية من أهم القضايا التي نجد معاناة عند الكبار فيها قبل الصغار! والسبب في ذلك أن الناس تنافسوا على الدنيا فتجد حرصهم الشديد حول أن يملكوا وليس حول أن يبارك لهم فيما يملكون!

تجد الناس حرصهم الشديد على أن يكون عندهم (أرصدة، مال، أولاد، بيت...) ولا يفكرون في الحقيقة أن هذه الأشياء ممكن أن تكون موجودة لكن منزوعة البركة!!

فكم والد عنده أولاد كثيرين يتفاخر بهم وبعد ذلك يأتي لحظة يتمنى أن لو ما أنجبهم! والسبب نُزعت بركتهم فأصبحوا بلاءً عليه.

المقصد أن قول النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-: "وبارك لي فما أعطيت"، يعلمنا طلب البركة، واتفقنا أن طلب البركة مقصود؛ لأن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-وهو الذي نزل عليه الوحي يعرف أن الخلق قد اختبروا في الدنيا، واختبروا في التنافس فيها، وقد ورد في أحاديث عدة نهي للمؤمنين عن التنافس مثلًا في أحد المواطن، قال: ((لا تَباغَضوا، ولا تَدابَروا، ولا تَنافَسُوا))[١].

وفي موطن آخر لما أتى أبو عبيدة بذهب من البحرين بيّن النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-أنه لا يخشى علينا الفقر، قال: ((فواللهِ! ما الفقرَ أخشى عليكم. ولكني أخشى عليكم أن تُبسطَ الدنيا عليكم كما بُسِطتْ على من كان قبلكم. فتنافَسوها كما تنافَسوها. وتُهلكَكم كما أهلكتْهم))[٢].

فمعنى ذلك أن طلب البركة أمر يعارض مشاعر التنافس، ومفهوم التنافس هذا من المفاهيم التي انتشرت اليوم كثقافة على أنه مفهوم ممدوح!

نختصر الكلام حتى تفهموا الرابط بين البركة والتنافس:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٢٩٦١)

"البركة"

- الشخص الذي يجد في قلبه أن ما قُسم له قد قُسم وأن مطلبه فيما قُسم له البركة؛ لا يعتني ولا يفكر في أن يكثر ماله ويربو ويزيد، بل الذي يفكر فيه أن يبارك له فتحصل البركة، عندما تحصل البركة ليس شرطًا أن تكون المضاعفة حسيَّة لكن قد تكون المضاعفة معنوية.

"التنافس"

- الناس لا يرضيهم أبدًا ما وصلوا ليه، تجدهم في أي شيء يحصلون عليه حتى طعم الأشياء التي يحصلون عليها يصبح مفقودًا! التنافس أصحابه ماذا يفعلون؟

يريدون أن يكون عندهم ما لا يوجد عند غيرهم فيرتفعوا عليه!

وإن كان عندهم شيء يمكن أن يكتفوا به ويكونوا سعداء به ويجدوا طعمه جميل، إلا أنهم بمجرَّد أن يعلموا أن مَن ينافسونه أصبح عنده هذا الشيء؛ مباشرة يفقد ما عندهم طعمه!

ولسان حاله يقول:

- "أنت تسكن في بيت يشبه بيتي؟!".

- "أنت تلبس ملابس تشبه ملابسي؟!".
- "يجب أن أكون أحسن منك!".
- "أنت في وظيفة تشبه وظيفتي!".
- "أنت حصلت على درجة علمية تشبه درجتي العلمية؟!".

هنا يأتي كثير من النقاشات حول مسألة التنافس وأن الإنجاز لا يكون إلا بالتنافس، لكن أريد أن أقول لكم **أولًا**: إنه لا يمكن أن يكون نهى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-عن شيء ويكون فيه خير.

ثانيًا: هم يستشهدون على مشروعية التنافس بأواخر سورة المطففين، قوله تعالى: {**وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**}(١) .

نقول: الذي يقرأ هذه الآية جيدًا يفهم أن التنافس على الدنيا ليس مشروعًا:

- {**في ذلك**} المقصود بها: "فيما عند الله"، معناها: فلتنظروا إلى سِير مَن سبقكم ولتروا كيف سبقوكم، فتسبقوا مثل سبقهم، من سبقنا؟ الصحابة الكرام والتابعين ومن بعدهم، انظروا كيف سبقوا وسابقوا مثلهم.

---

(١) [سورة المطففين: ٢٦]

فالدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة لا يمكن أن يكون من شرع الله أن تنافس عليها.

قد تقولين لي: هو لن يجتهد وينجح إلا إذا قلت له: "لا بد أن تكون الأول" و "لا بد أن تكون أحسن واحد"!

أقول: وماذا ستكون النتيجة إذا كانوا كلهم كسلانين؟!! سيهمل الدراسة!

لأجل ذلك كثير من الطلبة الذين اعتمدوا في حياتهم المدرسية على التنافس عندما يصلون للمرحلة الجامعية ولا يوجد أحد ينافسهم يقل مستواهم! لأنهم عاشوا على أنهم لا يستطيعون عمل أي شيء إلا إذا نافسهم أحدًا، ليس "إذا شاركهم أحدًا"، بل إذا كانوا سيصبحون أحسن من فلان، وقد قال تعالى:

{تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[١].

دعونا نترك موضوع التنافس ونقول: يجب ألا يشغل التنافس أبنائي ويجب أن يكون همهم:

---

(١) [سورة القصص: ٨٣]

- البركة في العمر.
- البركة في العمل.
- البركة في العلم.

وكلَّما قال لكِ: "والله أنا لم أستفد شيئًا من هذا العلم الذي تعلمته"!

قولي له: "سل الله أن ينفعك بما درست وأن يبارك لك يومك وعمرك وصحتك وتفكيرك وذكائك وفهمك،

اطلب البركة فإذا رُزقتها رُزقت كل خير". وأنتم ترون أننا بأنفسنا الكبار ينتهي يومنا ولا نجد أننا أنجزنا!

فنقوم نصلي الفجر ثم نريد أن نقول الأذكار فقط الأذكار! لا نزيد على الأذكار المشروعة المشهورة، فنجد أننا انقضى نهارنا وما قلنا أذكارنا، صحيح؟!!

هذا كله إشارة إلى أن البركة نُزعت من الحياة. ما هو الحل؟ نسألها، نطلبها، نجعلها مقصدًا، نتوسل إلى الله أن ينزِّلها علينا، ونداوم على سؤالها.

ودائما العلماء عندما يتكلمون عن البركة، يضربون لها مثلًا بموقف النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-في الحج أنه-صلَّى الله عليه وسلَّم-لما نفر من مزدلفة

- ما نفر حتى أسفر جدًّا-أي: طلع النور-.
- ثم خرج راكبًا وصل إلى منى ورمى الجمرات.
- ثم نحر بيده-صلَّى الله عليه وسلَّم-٦٣ من الإبل.
- ووقف وسألوه الناس وأجاب عليهم.
- ونزل من منى ذهب لمكة وطاف وفي بعض الروايات أنه صلى الظهر في مكة، وفي بعض الروايات أنه صلى الظهر في منى.

ما هو الوقت بين الفجر والظهر؟!!، لكنه قد بورك له فيه!

وفعل كل هذه الأفعال العظيمة-أفعال يوم النحر-في هذا النهار! فهذا يدل على أن البركة من الله.

ودائمًا يأتون الناس يكلّمونك عن التخطيط والترتيب، أنا ليس لدي اعتراضًا على هذا الكلام، لكن التخطيط والترتيب كلها جداول مكتوبة تُرمى في سلة المهملات إذا ما أنزل الله البركة على العبد، ولو أنزلها لفعل

أفعالًا مضاعفة عن هذه التي خطط لها؛ لأن الذي في السماء يملك قلوب مَن في الأرض...يملك حال من في الأرض!

فيجب أن لا نغترّ بمسائل التنظيم لدرجة أن نخرج من حال المؤمنين المنكسرين، ويؤسفنا قول الناس: "هؤلاء ينجحون بالبركة"! ماذا يقصدون؟ يقصدون إهمالهم للتخطيط، من باب المذمَّة! ولا يصح لأحد أن يستعمل كلمة (البركة) من باب المذمَّة، بل يا ليتنا تنزل علينا البركة!! لو نزلت علينا البركات لانتفعنا وكنا مباركين أينما كنا، لكن إذا شئت وصفهم يمكنك أن تقول: "يستعملون طريقة غير صحيحة في إدارة شؤونهم"، أو "إنهم مهملون". يوصفون بوصفهم أما أن توضع (البركة) هنا فهذا ذمّ لمسألة شرعية ولمطلب شرعي وتصوري ابنك الصغير أن ينشأ وسط ناس يقولون عن البركة: "إهمال"! هل سيطلب البركة؟!! أبدًا، وإذا ما حُلت هذه المشكلة اليوم؛ غدًا ستتفاقم.

فلابد ونحن نربي أبنائنا أن نبيّن له أن كل ما تملكه عطيّة من الله إذا ما باركه الله ما انتفعنا، لا يومك لا وقتك لا أكلك لا شربك، يأتي يقول لكِ -هو يتنافس مع إخوانه على طعام الغداء أو على حلوى-: "هذا لن يشبعني، لن يكفيني، املئ صحني..."!! في هذه المواقف نحن نقول: "اطلب البركة من الله، إذا بارك الله لك انتفعت، لا تطمع، لا تنافس لا تكون فيك هذه

المشاكل". ولذلك المؤمن حقًّا هو الذي يشعر أن ما قُسم له لن ينزعه منه أحد، وأن ما قُسم له الانتفاع به هو أن يُبارك الله له فيه، ولا تُبدلوا (نزع البركة) بكلمات غير صحيحة، يعني مثلًا:

هذا الشاب الآن يشتري جوال أو يشتري أي جهاز، ثم أول ما يدخل البيت يعطل ثم يقوم يصلحه فيخرب من جهة ثانية! وهكذا فيقول: "هذا منحوس أو هذا أصابته عين"... وإلى آخر هذه الكلمات كأنه هو الوحيد في العالم الذي اشترى جوال، المهم نحن عندنا كلمتين:

- ربنا بارك فيه؛ الحمد لله.

- ربنا لم يبارك فيه؛ نستغفر ونتوب، نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يبارك فيه.

فأول ما يصله هذا الشيء، نقول له: "أسأل الله أن يجعل هذا الجهاز مبارك عليك ينفعك ولا يضرّك، الله يبارك لك فيما رزقك وينفعك به"، فتصبح كلمة البركة مطلبًا عنده.

أما أن تنزع البركة ويشعر أن السبب سوء التخطيط والتنظيم فقط! فهذا ما يوصل الإنسان أن يكون ماديًا، لا تفهموا أن هذا الكلام يعني نبذ

التخطيط والتنظيم، لكن التخطيط والتنظيم بدون نزول البركة لا شيء، ليس له قيمة! وعندما تنزل البركات ينفعني كل شيء أفكر فيه.

أسأل الله أن يبارك لنا في عقولنا وأبداننا وقلوبنا وأولادنا وبيوتنا وأحوال المسلمين.

المطلب الخامس: "الوقاية"

"وَقِنَا شَرَّمَا قَضَيْتَ"

تأتينا الآن هذه الجملة التي فيها طلب أن يقيه الله شر ما قضى-سبحانه وتعالى-، نحتاج أولًا أن نفهم ما يعني "شر ما قضيت"، وهل ينسب الشرّ إلى قضاء الله؟

اعلم أن فعل الله كله خير، لكن القضاء الذي يُقضى به-بمعنى الشيء الذي سينزل على الناس-هذا فيه الخير وفيه الشرّ، كأننا نتكلم عن مقاصد الأشياء:

- إذا قلنا: "مقصد كل قضاء". فهو خير.
- وإذا قلنا: "عين القضاء" فممكن أن يكون خير وممكن أن يكون شر!

مثلًا:

- ماذا يعتبر المرض لقوي متجبر؟ خير، رغم أنه مرض وآلام.
- وماذا يعتبر المرض لمذنب بعيد؟ خير.
- وماذا يعتبر المرض لعبد تقي قريب؟ خير. لماذا؟ لأنه سيزيده ذلًّا، سيصبر عليه ويكون سببًا لرفعة منزلته.

فأنتِ ترين القضاء وترين مقصد القضاء، فلو رأيت القضاء نفسه ستقولين: "وقنا شر ما قضيت"، وإذا نظرتِ للمصالح فلا يوجد شرّ أبدًا فيما يقضيه الله.

مثال آخر:

نرى الأحداث التي تأتي على المسلمين في صورتها شرّ، لكن حقيقتها:

- أن أقوام يمحّصون فترتفع درجاتهم.
- وأقوام يظهر نفاقهم فيتضح هذا الكذب الذي كانوا فيه.
- وأقوام الله-عزَّ وجلَّ-يسلطهم على المؤمنين لزيادة ذنوبهم فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

فمعنى ذلك أن هذا القدر للمؤمن وإن كان شكله شرّ، لكن الله-عزَّ وجلَّ- يرفعه فيه!

مثال آخر:

في قصة أصحاب الأخدود التي وردت في سورة البروج، أصحاب الأخدود لما ألقوا في النار، ماذا يعتبر هذا؟! شرّ.

شرّ في ظاهره لكن هم ما أن يدخلوا إلى النار ويموتوا إلا ويصلوا بعدها إلى جنات النعيم! ثم إن ذكرهم بقي إلى يوم الدين، يتلى في آيات.

مثال آخر:

ما حصل لأمّنا عائشة-رضي الله عنها-في حادثة الإفك في ظاهره الشرّ، لكن في حقيقته:

- مُيِّز المنافقين.
- مُيِّز المؤمنين.
- نزلت فيها براءة رفعتها.
- لازالت تُتلى في حقها آيات إلى قيام الساعة في مساجد المسلمين.

كل هذا الخير ما كان يأتي إلا من طريق الشر.

وأنت تكون عليك ذنوب كأمثال الجبال، بعدها تمرض مرض يطهِّرك كما ورد في الحديث: ((يمشي-هذا المريض الذي صبر وشكر-علَى الأرضِ ما عليهِ خطيئةٌ))[١].

يعني لو مات لحظتها سيدخل الجنة مباشرة! فهذا كله خير، وإن كان ظاهره شرّ، فالله حكيم.

نريد أن نفهم الدعاء، إذا كان خيرًا وظاهره شرّ. فكيف أقول: "وقنا شر ما قضيت"؟

المقصد أن العبد يطلب من الله-عزَّ وجلَّ-الوقاية من الشرور، فإذا كانت الشرور مما قُدر عليه يكون ممن وُقِيَ شرّ المعصية ووُقِيَ شرّ مخالفة أمر الله.

يكون الله-عزَّ وجلَّ-قدّر عليه أن تقع عليه هذه الأمور...مُقدّر، لكنه يقول: "قِني شرّ ما قضيت"، ماذا سيكون؟! سيحفظه الله مِن أن يفعل ما لا يرضي الله وقت نزول القضاء عليه.

---

(١) "قلتُ لرَسولِ اللَّهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم–: أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قالَ: فقالَ: الأنبياءُ، ثمَّ الأمثلُ، فالأمثلُ، يبتَلى الرَّجلُ علَى حَسبِ دينِهِ، فإن كانَ دينُهُ صلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ ابتُلِيَ على حَسبِ دينِهِ، فما يبرحُ البلاءُ بالعَبدِ حتَّى يترُكَهُ يمشي علَى الأرضِ ما عليهِ خطيئةٌ" رواه أحمد في مسنده بإسناده صحيح.

سنأتي الآن إلى العقائد الموجودة في آخر الجمل، قال:

"إِنَكَ تَقضِي وَلَا يُقضَى عَلَيْك"

هذه الجملة فيها من العقائد المهمّة التي يجب أن نربي صغيرنا على أن تكون في قلبه، أننا:

- ملك لله.
- خلقنا الله.
- أوجدنا الله.
- أعدنا الله.
- دبّرنا الله.

فهو يقضي علينا-سبحانه وتعالى-ولا أحد يستطيع أن يقضي عليه، وهنا مناسب جدًّا أن يشرح اسم (الظاهر).

تعرفون طبعًا الأربعة أسماء التي وردت في سورة الحديد، قال تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(١)، وهذه الأسماء من الأسماء المهمّة جدًّا في التربية، وتحتاج إلى نقاش تفصيلي

(١) [سورة الحديد: ٣]

لكن هذه فرصتنا هنا أن نتكلم عن اسم (الظاهر) لماذا؟

لأن هذا الصغير يرى فيما يراه في هذا التلفاز أقوياء قادرين على التحكّم في العالم، وبعد ذلك في الأفلام الخيالية أنهم يستطيعون أن يفعلوا ويخرجوا ويكسروا ويقضوا على الأشياء! يرى فيما يرون أنه في عام كذا وكذا نهاية العالم، وفي عام كذا وكذا سيحصل كذا وكذا في العالم!

فيُشعروا الصغير أن هناك مَن يقضي في الكون غير الله! فلا بد أن تكون هذه العقيدة تامة الظهور،

وهي عقيدة أن الله هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء وإذا ما أسرعت ببنائها سيخطفونه سيقولون له الكلام الذي يجعله إذا قالت له معلمته في رياض أطفال-معلمات رياض أطفال يعرفون هذا الشيء-: "الله هو القويّ، الله هو العظيم"، يسألها يقول: هل الله أقوى من كذا وكذا-شخصيات في أفلام كرتون-؟ يُخطف لماذا؟!!

لأن قلبه هذا يبحث عن قوي يصبح ركنه الشديد، فلابد أن تسبقي وتقولي له:

- الله هو القوي.
- هو الظاهر.

- هو مالك الملك وهو وحده على كل شيء قدير.
- وهو الذي يقضي ولا يُقضى عليه، ولا أحد يستطيع أن يقضي على الله، ولا أحد يستطيع ولا يملك أن يُعارض أمر الله.

نحن نشعر أن هذه عقائد طبيعية لكن عند الصغار توجد أشياء كثيرة تنازعها خصوصًا أفلام الخيال العلمي التي يصورون لهم فيها شخصيات تشعرهم أنهم يستطيعون أن يفعلوا كل شيء، بل ويستطيعون أن يخلقوا ويطعموا ويسقوا ويدبّروا!

وصلوا إلى درجة أنهم يشاركون الله في أفعاله!!

فهذه كلها أخطار ويجب أن نعرف أننّا بحاجة شديدة إلى بيان هذه العقيدة.

أنا قصدت من كل هذا النقاش أن تمتلئ، وفي كل مناسبة تكلمي بحيث تصبح هذه الأشياء من المفاهيم الواضحة عند الصغير، فلا يتفاجأ عندما يكبر أنه عاش فترة طويلة من الزمان يعتقد أنه يستطيع أن يفعل!

وأنا لا أكلمكم من خيال، فهذه شابة عمرها ١٨ سنة تقول: "بقيت في غرفتي زمنًا طويلًا أشعر أني ستأتيني القدرة على تحريك أجزاء الغرفة"! من أين يأتي هذا الكلام؟ إلا وإنها رأت ما رأت وامتلأ قلبها وشعرت أنها

تستطيع!! وصرحت بكلمات لا يصح أن تتكلم عنها لأنها مِن وسواس الشيطان وخرافات الناس، لكن المقصود أنهم يعانون من أشياء كثيرة في قلوبهم، ونحن لا نشعر وفجأة تأتيهم نوبة بكاء شديدة، وفجأة تأتيهم نوبة خوف شديدة، وفجأة تأتيهم نوبة إحساس بالفزع من كل شيء، توجد معركة في داخلهم، لا يعرفون مَن يؤمنهم، لا يعرفون ركنهم الشديد! فلا بد أن يكون جهدنا أن نجعل الله هو ركنهم الشديد، فهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء.

تأتي المسألة الثانية التي تهمّ خصوصًا الشباب، قوله-صلَّى الله عليه وسلَّم-:

"إِنه لَا يَذِل مَنْ وَالَيت وَلَا يَعِزمَن عَادَيْت"

وهذا له شأن عظيم أنهم دائمًا يشعرون أنهم خائفون ومحتاجون إلى أحد معهم إذا اعتمدوا عليه لا يذلون ولا يخافون من الذل، وهذا شيء طبيعي أن يخافوا من الذل؛ لأن هذه مشاعر مشتركة بين الناس، أن الإنسان لا يريد أن يكون ذليلًا، فيجب أن يعلموا أن مصدر عزتهم هو

الله، ويعلموا أن الذي يواليه الله لا يذلّ وأن الذي يعادي الله-عزَّ وجلَّ-لا يمكن أن يذوق العزّة.

أبناؤنا يعانون من مشكلة كبيرة وهي: (الهزيمة النفسية) دائما يقولون: "انظروا إلى الغرب والشرق"، يشعرون أنهم وصلوا ويشعرون أنهم في عزة، ويشعرون تجاه المسلمين بالهزيمة! وهذه هزيمة نفسية؛ لأنهم يقيسون الحياة بمقياس الدنيا، وهو الذي قال عنه الله-عزَّ وجلَّ-:

{فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ* كلا}[١] .

الله يقول: {كلا} ليس صحيحًا هذا المقياس الذي تقيس به!!

فلابد أن نعرف أن مسؤوليتنا أن نحميهم من الهزيمة النفسية، وإذا قال لكِ: "نحن لسنا عزيزين مع إننا عبيد لله"؟!

الجواب: "إذا عصى الله مَن يعرف الله سلّط عليه من لا يعرفه".

إذا كنت تعرف الله وعصيته سلّط عليك من لا يعرف الله؛ جزاءً لك.

(١) [سورة الفجر: ١٥-١٧]

فلا بد أن تعرف طريق العزّة، طريق العزّة أن تكون كل المفاهيم السابقة واضحة أمامك، طريق العزّة لا يبتدئ إلا لما أنت-يا بني-تهتدي وهذا يهتدي وكلكم تبتعدون عن المعاصي، عندها نصير أهلًا لنصرة الله.

ونحن لا نُنكر العزّة التي نعيشها، لا نُنكر أننا نعيش في أمن وأمان وعطيّة من الله، عندما يتكلمون عن أوضاع العالم الإسلامي ونحن معهم، نقول: نعم، نحن نمر بفترة هزيمة لكن لا تكونوا مهزومين نفسيًا، العزّة من الله، لا يذلّ من واليت ولا يعزّ من عاديت، وهذا الذي تراه ليس عزّة لأهل الكفر وأهل الشقاق والنفاق، إنما هذا ابتلاء بالتمكين وسيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وإذا أردت أن تتأكد فانظر إلى كل الآثار التي في الأرض وابحث أين أهلها؟! كلهم هؤلاء كانوا عزيزين، ثم ذهبوا وانتهوا!!

نأتي إلى آخر جملة وهي قوله-صلَّى الله عليه وسلَّم-:

" تَبَارَكت رَبنَا وَتَعَالَيْت"

هذه الجملة فيها مفهومان:

المفهوم الأول: مفهوم البركة.

وهذه الصفة العظيمة لله قد أشرنا إليها في البداية، واتفقنا أن الله هو-سبحانه وتعالى-الذي يبارك الأشياء، وأن الأشياء لا يصبح لها طعم ولا تنفع ولا توصل صاحبها إلى مقاصده إلا عندما تنزل البركة من الله.

المفهوم الثاني: مفهوم العلو.

لابد أن نثبت لله صفة العلو، ولنعلم أن هذا الصغير كالكبير يريد لقلبه قِبْلة كما يريد لبدنه قِبْلة، قِبْلة يتحرَّك قلبه تجاهها وقتما يحتاج، وفيما يحكى أيام زلزال اليابان الذي مضى قبل سنوات أنه كان يوجد شابين مسلمين ومعهم ثالث كافر مُلحد، فيقول المسلم: "وقتما حصل الزلزال كنا في ناطحة سحاب، كانت تتحرك هذه الناطحة كأنها لعبة، فسجدنا لله"-شعروا بقلوبهم تتجه لله وسجدوا لله-ثم قال عن الثالث الملحد: "أخذ يدور في الغرفة، يدور ينظر للناس، يفكر أن يرمي نفسه"!! -ما عنده قِبْلة يتجه قلبه لها-.

فهكذا الصغير هذا يجب أن يعرف أن الله في العلو، وهو أصلا مفطور على حب العلو ويعرف أن العظماء لابد أن يكونوا في العلو، وأنت تقولين له: "الله في السماء، وارفع يديك واسأله وانكسر بين يديه وهو ينزل عليك

الخيرات"، النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم-سأل الصغيرة: ((أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة))[١].

فهذه من أول مفاهيم الإيمان، أن يعرف الصغير أن ربنا في السماء، يأتي يسألك: "أين ربنا؟" قولي له: "في السماء"، يأتي ثاني يوم يسألك، وأنت تقولين: "في السماء" يستمر يسأل وأنت تجيبينه بنفس الجواب، فهو بحاجة إلى أن يكرر عليه هذا الجواب حتى يستقر في نفسه، فلا تغيري كلامك: "في السماء".

حتى يجد قلبه قِبْلة يتجه إليها وبعدها عندما تقولين له: "اطلب من الله" ؛ يعرف إلى أين يتوجه قلبه، فنحن بحاجة إلى أن تتجه قلوبنا للسماء.

أسأل الله أن نكون من أهل هذه السنَّة النبوية المباركة وأن نكون ممن ربى أبناءه على دينه. اللهم آمين.

(١) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: كَانَتْ لِي غُنَيْمَةٌ تَرْعَاهَا جَارِيَةٌ لِي فِي قِبَلِ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ ذَهَبَ الذِّئْبُ مِنْهَا بِشَاةٍ وَأَنَا مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ فَصَكَكْتُهَا صَكَّةً فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-فَقُلْتُ: أَفَلَا أَعْتِقُهَا؟ قَالَ: "ائْتِنِي بِهَا" فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: "أَيْنَ اللَّهُ؟ " قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: "مَنْ أَنَا؟ " قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-قَالَ: "أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مؤمنة" رواه ابن حبان في صحيحه (١٦٥) قال الألباني: صحيح.